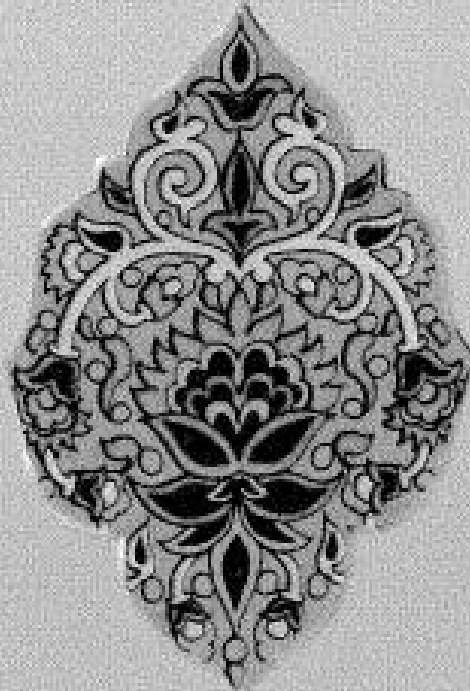


أَسَى الْمَطْرِبِ

في نجاة أبي طالب



تأليف

أحمد بن الزين دحلان الشافعي المكي

المتوفى عام ١٣٠٤ هـ

إعداد وتقديم

صالح الورداني

علي صراط الحق

أبجد
للعلوم والنشر

أَسْبَغِي الْمَطْبُوعَاتِ

فِي نَجَاةِ أَبِي طَالِبٍ

تأليف

أحمد بن الزيني دحلان الشافعي المكي

المتوفى عام ١٣٠٤ هـ

إعداد وتقديم

صالح الورداني

علي صراط الحق

الإسلام
للإعلام والنشر

اسم الكتاب: اسنى المطالب فى نجاه ابن طالب

المؤلف: احمد بن زينى دحلان

الناشر: الهدف للإعلام

رقم الإيداع: ٩٩/١١٥٦٢

الترقيم الدولى: 977-5751-17-9

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم

إن قضية تكفير الأبياء والأجداد والأمهات ممن لهم صلة بالرسول (ص) إنما هي قضية سياسية وليست دينية.

فليست هناك نصوص قطعية تجزم بذلك وإنما هي مجموعة من الروايات محل أخذ ورد وقبول ورفض بين الفقهاء.

ولقد ترسخت هذه القضية في العصر الأموي حين كان الصراع على أشده بين الأمويين وبنى هاشم ثم تبناها فقهاء الشام من بعد.

وجاء العباسيون فأهملوا هذه القضية أو تركوا فكرة التكفير ترسخ في أذهان المسلمين من أجل الحط من بنى هاشم خصومهم.

من هنا فقد حالت السياسة دون حسم هذه القضية حيث أن الفقه الذي ساد في واقع المسلمين منذ العصر الأموي وحتى الآن هو الفقه المعادي لبنى هاشم وآل البيت، ذلك الفقه الذي تجاوز حدود الأبياء والأجداد ليصل إلى شخص النبي (ص) ذاته فيحيطه بكم من الروايات التي تحط من قدره وتشوه صورته بل وتشكك في دوره ورسالته^(١).

ذلك الفقه الذي ارتبط بالحكام ولم يرتبط بالقرآن.

(١) انظر نماذج من هذه الروايات التي تفضح علاقة الرسول بالنساء وتضعه في دائرة المشرع وتصفه بالظلم تارة والجهل والنسيان تارة وغير ذلك من الصفات التي لا تليق بمقامه (ص) في كتابنا، دفاع عن الرسول.

ذلك الفقه الذى نتجت منه قضايا كثيرة لا تقل خطورة عن القضية التى نحن بصددنا هنا.

مثل قضية الإمامة^(٢).

وقضية الروايات^(٣).

وقضية العقائد التى ورثها المسلمون^(٤).

وقد يسأل سائل: ما هو الهدف السياسى من وراء تكفير آباء النبى وأجداده؟ وهل آباء النبى وأجداده من الأهمية بحيث يصبحون قضية تنعكس على الإسلام؟

والجواب ما يلى:

إن الصراع بين البيت الأموى والبيت الهاشمى له جذوره التاريخية العميقة التى تمتد إلى ما قبل الإسلام بقرون طويلة. وهذا الصراع قد ولد نوعاً من العداة والخصومة التى لا يمكن أن يمحوها الإسلام^(٥).

لأن الإسلام ببساطة شديدة لا يحول الناس إلى ملائكة.

ولن يجعل أبو سفيان وهند وولدهما معاوية ومن ورائهم بنى أمية يلقون وراء ظهورهم ذلك الإرث العداوى للإسلام وبنى هاشم بمجرد أن دخل الرسول (ص) مكة فاتحاً.

(٢) انظر لنا تثبيت الإمامة وعقائد السنة وعقائد الشيعة.

(٣) انظر لنا النص والسياسة.

(٤) انظر لنا أهل السنة شعب الله المختار.

(٥) انظر النزاع والتخاصم فيما بين بنى أمية وبنى هاشم للمقرئى وكتب التاريخ.

وهذا هو السر من وراء وضع الرسول لبنى أمية فى دائرة المؤلفة قلوبهم ولم يخرجهم من هذه الدائرة حتى توفى^(٦).

وهذا هو السر وراء حمل معاوية ومن وراءه بنى أمية راية الحرب على علي بن ابى طالب بمجرد ان تمكن وملك القوة.

ولأن معاوية يفتقد إلى الشرعية والوزن التاريخى فى مواجهة علي فقد لجأ إلى الحيلة والمكر واختراع الروايات التى تعلق من قدره وتحط من قدر خصمه.

أما الروايات التى تعلق من قدره فقد سقطت بعد سقوط الأمويين وأعلن فقهاء العصور التالية رفضها وحكموا عليها بالوضع^(٧).

أما الروايات التى تحط من قدر الإمام علي وبنى هاشم فقد تنبه البعض لبعضها ومرت أكثرها وتخلل كتب الأحاديث^(٨).

ومن هذه الروايات ما يتعلق بإيمان أبوى النبى وأجداده وابى طالب.

(٦) رفع عمر أبو سفیان ومعاوية من المؤلفة قلوبهم وأوقف العمل بهذا الحكم. انظر علاقة عمر بمعاوية فى الإصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر ترجمة معاوية وكتب التراجم الأخرى وكتب التاريخ، وانظر لنا السيف والسياسة.

(٧) انظر باب ذكر معاوية فى فتح البارى شرح البخارى ج ٧. وفيه قال إسحاق بن راهويه، لم تصح فى معاوية منقبه. وانظر تطهير الجنان واللسان عن الخطورة والتفوه بثلب معاوية بن أبى سفیان لابن حجر الهيتمى.

(٨) انظر مثلاً قصة زواج علي بإبنته ابى جهل فى كتاب النكاح فى البخارى. وانظر كتابنا الخدعة. وأحاديث نبوية اخترعتها السياسة.

ولو اعتبرنا ان التشكيك فى إيمان آباء النبى وأجداده سوف ينعكس على الإمام علي، فإنه سوف ينعكس بالتالى على الرسول (ص) ومنه سوف ينعكس على الإسلام. فإن العلاقة الوطيدة التى كانت بين الرسول (ص) وعلى ليست علاقة قبيلة وإنما هى علاقة شرعية تشهد بها عشرات النصوص^(٩).

وإذا كان القوم قد شهدوا بصحة الخبر الذى يقول أن الرسول اصطفاه الله من بنى هاشم واصطفى بنى هاشم من قريش واصطفى قريش من كنانة واصطفى كنانة من ولد إسماعيل فهى سلالة منتفاة بعناية الله سبحانه^(١٠).

وشهد آخرون بأن قوله تعالى ﴿وتقبلك فى الساجدين﴾ دليل على طهارة سلالة النبى (ص)^(١١).

وشهد آخرون بأن النصوص التى تتعلق بالاستغفار للمشركين هى نصوص مدنية لا صلة لها بالواقع المكى وأن الروايات التى رويت حولها غير ثابتة^(١٢).

وأكد آخرون أن الروايات التى تفيد كفر آباء النبى وأجداده وأبو طالب إنما هى فى نفس الوقت تفيد إيمانهم^(١٣).

فمن أين إذن أتى الحكم بالكفر والضلال؟

- (٩) انظر كتب السنن أبواب فضائل الإمام علي وانظر خصائص الإمام علي للنسائى.
(١٠) سيأتى ذكر هذا الحديث ضمن فصول الكتاب.
(١١) انظر تفسير الرازى سورة الشعراء.
(١٢) سيأتى بيان ذلك وانظر الفوائد الكامنة فى إيمان السيدة آمنة والتعظيم والمئة فى ان ابوى المصطفى (ص) فى الجنة لاسيوطى.
(١٣) سيأتى ذكر ذلك.

لقد كان بنو هاشم طوال تاريخهم يتولون أمور البيت الحرام والاعتناء بالحجاج والقيام بالمهام المقدسة وهذا يعنى أنهم لم يكونوا كبقية الناس.

يعنى أنهم الطائفة الموحدة على دين إبراهيم (ع).

يعنى أنهم الطائفة المميزة خلقاً وديناً.

وإن دراسة سيرتهم تؤكد هذه الحقيقة^(١٤).

من هنا يمكن القول ان الطعن في آباء النبي (ص) وأجداده يعنى الطعن في النبي ويعنى التشكيك في اختياره من قبل الله تعالى من باب آخر.

وفي يقينى أن هذا هو الهدف من وراء ذلك كله. فقد دفع الحقد بينى أمية إلى التشكيك في أصل رسول الإسلام ليكون باباً للتشكيك في الإسلام.

وهنا تبرز أهمية القضية وخطورتها.

ونعود إلى ابي طالب موضوع الكتاب الذى بين أيدينا طارحين السؤال التالي:

ماهى حقيقة علاقة ابي طالب بالرسول (ص) ؟

وهل كانت علاقة قبلية أم دينية ؟

والإجابة تفرض علينا استعراض العلاقة من بدايتها.

بدايات العلاقة بين الرسول وأبي طالب بعد وفاة عبدالمطلب جد الرسول (ص)

(١٤) انظر سيرة ابن هشام وطهقات ابن سعد وكتب التاريخ وسنناتى الإشارة لذلك.

الذي كان عمره يومئذ ثمانية سنوات بوصية من عبدالمطلب الذي أوصى ولده أبو طالب بالرسول فجعله في كفالته^(١٥).

والسؤال هنا لماذا جعل عبدالمطلب النبي في كفالة أبي طالب ولم يجعله في كفالة شقيقه عبدالعزى بن عبدالمطلب الذي عرف فيما بعد بأبي لهب؟

والجواب هو أن الأمور لم تكن بالاختيار أو بالمفاضلة وإنما هي أمور مرتبة من قبل الله سبحانه. ولو كان الرسول في كفالة عبدالعزى لكان الأمر غير الأمر. أي أن الرسول لو لم يكن مختاراً من البداية للرسالة لكان من الممكن أن يقع من نصيب عبدالعزى ولكن لكونه رسولا مختاراً فيجب أن يكون في كفالة من يدرك هذه الحقيقة وهو مهيباً لقبولها والسير في ضلالها. ولذا كان في حضنة عبدالمطلب ثم في كفالة أبي طالب وهذه هي الإشارة الأولى لإيمان أبي طالب.

وتروى الكتب أن الرسول (ص) رحل مع عمه أبي طالب إلى الشام في تجارة فافتت الرسول انتباه بحيرا الراهب وتنبأ له بالنبوة. وكذلك لفت الرسول انتباه بعض الكهان وأهل الفراسة مما دفع بأبي طالب إلى أن يعزل النبي عن هؤلاء ويغيبه عنهم^(١٦).

وهذه هي الإشارة الثانية لإيمان أبي طالب.

فقد كان من الممكن لأبي طالب أن يستثمر هذه الفرصة التي لفت فيها النبي أنظار القوم في تقوية مركزه وتحصيل الشهرة بين العرب لكنه فعل العكس من ذلك ----

(١٥) انظر سيرة ابن هشام وطبقات ابن سعد وكتب التاريخ.

(١٦) انظر المراجع السابقة.

وغيب النبي عن الأنظار. وذلك الموقف ليس له سوى تفسير واحد وهو الحفاظ على النبي المترص به من الأعداء والخصوم، ولو لم يكن أبو طالب ينظر إلى ابن أخيه على أنه نبي لشهره بين الناس بدافع القبيلة.

وهذه هي الإشارة الثالثة لإيمان أبي طالب.

ويروى أن أبا طالب خطب في الناس حين تزوج رسول الله بخديجة فقال بعد أن مدح النبي وبني هاشم، الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل. ثم إن ابن أخى هذا محمد بن عبد الله لا يوزن به رجل إلا رجح. وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل جسيم^(١٧).

فمن أين لأبي طالب هذا العلم بمستقبل ابن أخيه ؟

وإذا كان قد سمع هذا الكلام من سواه فهذا يعنى أنه قد آمن به.

وهذه إشارة رابعة لإيمان أبي طالب.

ويروى أن أبا طالب عثر على علي وهو يصلى مع الرسول (ص) في شعاب مكة مستخفيين عن الناس فلم يعترض عليه. ولم ينهه عن فعله بل باركهما وأيدهما ووعد الرسول بالنصرة^(١٨).

(١٧) انظر سيرة ابن هشام وطبقات ابن سعد وكتب التاريخ.

(١٨) المراجع السابقة.

وهذه إشارة خامسة إلى إيمان ابي طالب.

وحين صدع رسول الله (ص) بالدعوة ضغط كبراء قريش وسادتها على ابي طالب وهددوه كي يمنع الرسول من الدعوة للإسلام ويسلمه لهم فأبى وقبل معاداة قريش على معاداة رسول الله (ص) وقال، اذهب يا ابن أخى فقل ما أحببت. فوالله لا أسلمك أبداً (١٩).

فهل هذا الموقف يدل على الإيمان أم يدل على القبلية ؟
بالطبع يدل على الإيمان.

وأين القبلية وقد نبذ قومه وعاداهم من أجل رسول الله ؟

وحين تأمرت قريش على المسلمين وعذبتهم وحرضت كل قبيلة على البطش بمن آمن منها جمع أبو طالب بنى هاشم ودعاهم إلى نصرة الرسول وحمائته فاجتمعوا إليه وقاموا معه (٢٠).

ولما قرر الرسول (ص) دفع المسلمين إلى الهجرة للنجدة هربا من البطش والأذى أرسلت قريش وراءهم من يحرض النجاشي على المسلمين كي يطردهم من بلاده. وما كان من ابي طالب إلا أن أرسل إلى النجاشي يحضه على حسن جوارهم والدفع عنهم (٢١).

(١٩) انظر سيرة ابن هشام وطبقات ابن سعد وكتب التاريخ.

(٢٠) المراجع السابقة.

(٢١) المراجع السابقة.

وهذا موقف ينم عن إيمانه. فقد تخطى بموقفه هذا حدود رسول الله الذي يعيش في حمايته ليصل إلى حدود المسلمين الذين هم بعيدون عنه.

وإذا كانت هناك مصلحة قبلية كما يزعمون وراء نصرته أبو طالب للنبي (ص)، فما هي المصلحة القبلية من وراء نصرته للمسلمين خارج قريش وحدود العرب ؟

ولما قررت قريش مقاطعة بني هاشم وحصروهم في الشعب وكتبوا بذلك صحيفة علقوها في جوف الكعبة لم يتراجع أبو طالب عن نصرته النبي ومآزرته وشاركه كل بني هاشم عندا عبد العزى بن عبدالمطلب (أبو لهب)^(٢٢).

وتحمل أبو طالب ومعه النساء والأطفال الجوع والعطش والحرمان من أجل الإسلام. وكان الأجدد بالقبيلة أن تدفع بأبي طالب - وقد استمر الحصار سنوات - إلى التخلي عن الرسول (ص) في سبيل رفع الحصار. ولكنه الإيمان.

الإيمان هو المبرر الوحيد الذي يجعل أبو طالب يضحى مثل هذه التضحية.

وإذا كان القوم يعترفون بحب أبي طالب للرسول (ص) فسوف نعرض لبعض الأحاديث الواردة في الحب على لسان الرسول (ص).

قال (ص): من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان^(٢٣).

(٢٢) انظر سيرة ابن هشام وطبقات ابن سعد وكتاب التاريخ.

(٢٣) رواه الترمذي.

والسؤال هنا، ألا ينطبق هذا الحديث على سلوك ابى طالب ومواقفه من الرسول
والدعوة ؟

وقال (ص): لا يؤمن احدكم حتى اكون احب إليه من ولده ووالده والناس
اجمعين^(٢٤).

ولقد قدم لنا ابو طالب البراهين الساطعة والدلائل القاطعة على هذا الحب
فاستحق الإيمان.

وقال (ص): المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده^(٢٥).

وان ابى طالب لم يسلم المسلمون من لسانه ويده فقط بل نصر رسول الله
ونصرهم. أفلا يستحق بعد هذا أن يكون مسلماً.

وقال الحسن البصرى: الإيمان ما وقر فى القلب وصدقه العمل^(٢٦).

وليس هناك من تعبير أدق من تعبير البصرى فى وصف حال ابى طالب فهو
صدق بعمله ما وقر فى قلبه. وفى هذا القول كفاية.

اما هذا الكتاب الذى بين ايدينا فقد حشد الكثير من الدلائل والبراهين حول
إيمان ابو طالب وترك القارئ يتبحر فيها ويستبصر بها محكما عقله وفطرته مسترشداً
بحركة النبى (ص) وسيرته داعين المولى عز وجل طالبين منه الهداية والرشاد.

صالح الوردانى

القاهرة

(٢٤) البخارى ومسلم كتاب الإيمان.

(٢٥) مسلم كتاب الإيمان

(٢٦) انظر شرح العقيدة الطحاوية باب الكلام فى زيادة الإيمان.

مقدمة المؤلف

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
اجمعين..

أما بعد.

فيقول العبد الفقير خادم طلبة العلم بالمسجد الحرام كثير الذنوب والآثام
المرتجى من ربه الغضران أحمد بن زيني دحلان قد وقفت على تاليف جليل للعلامة
النبيل مولانا السيد محمد بن رسول البرزنجي المتوفى سنة الف ومائة وثلاثة في نجاته
أبوي النبي (ص) وذيله في آخره بخاتمة أبي طالب عم النبي (ص) وأثبت نجاته^(١).

وأقام أدلة على ذلك وبراهين من الكتاب والسنة وأقوال العلماء يحصل لمن تأملها
أنه ناج ييقين مع بيان معان صحيحة للنصوص التي تقتضى خلاف ذلك حتى صارت
جميع النصوص صريحة في نجاته وسلك في ذلك مسلكا ما سبقه إليه أحد بحيث ينقاد
لأدلته كل من أنكر نجاته ومجحد.

وكل دليل استدل به القائلون بعدم نجاته قلبه عليهم وجعله دليلا لنجاته وتبع كل
شبهة تمسك بها القائلون بعدم النجاة وأزال ما اشتبه عليهم بسببها وأقام دليلا على
دعواه.

(١) البرزنجي، [نسبة إلى قرية برزنج في العراق] من أعيان القرن الثاني عشر ويتهى
نسيه إلى الإمام موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن
الحسين بن علي بن أبي طالب. له الكثير من المصنفات. انظر سلك الدرر في أعيان
القرن الثاني عشر للمرادي الدمشقي. والزيني دحلان هو أحمد بن زيني دحلان
المكي الشافعي صاحب كتاب خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام ت ١٢٠٤هـ.

وكان فى بعض تلك المباحث مواضع دقيقة لا يفهمها إلا الفحول من العلماء ويعسر فهمها على القاصرين من طلبة العلم وبعض تلك المباحث زائدة عن إثبات المطلوب ذكرها تقوية لما أثبتته وكشف الحجاب كل محجوب.

فأردت أن أخص فى هذه الوريقات المقاصد التى أثبت بها نجاته أبى طالب ليكون من عرفها فى كل محفل هو الغالب.

واجتهدت فى تسهيل عبارات تلك المباحث الدقيقة حسب الإمكان وحذفت ما كان زائداً عما هو المقصود بالبيان وزدت كلاماً يتعلق بذلك وجدته فى المواهب اللدنية والسيرة الحلبية له مناسبة لهذه القضية.

فجاء الجميع وافياً بتحصيل المراد نافعا إن شاء الله كل من وقف عليه من العباد وسميت هذا المؤلف (اسنى المطالب فى نجاته ابى طالب).

وأسال الله تعالى الإعانة والتوفيق والإخلاص والقبول وحسن الختام بجاه سيدنا محمد عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام.

الباب الأول: إثبات الإيمان

فأقول إن العلامة البرزنجي أثبت أولاً حصول الإيمان لأبي طالب بالحجج والبراهين ثم أثبت له النجاة وخرج ذلك على أرجح الأقوال عند المحققين.

أما إثبات الإيمان فإنه يتوقف أولاً على معرفة معنى الإيمان ومعناه شرعاً والتصديق القلبي بوحداً نية الله تعالى ورسالة النبي (ص) والتصديق بكل ما جاء به عن الله تعالى^(١).

(١) أصل الإيمان في اللغة التصديق. يقال آمنت به وآمنت له إذ صدقته ومنه قوله تعالى: «وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا» [يوسف، ١٧]. أي بمصدق.

وقال أبو الحسن الأشعري ت ٣٢٤هـ: أن الإيمان هو التصديق لله ولرسله عليهم السلام في أخبارهم ولا يكون هذا التصديق صحيحاً إلا بمعرفته، والكفر عنده هو التكذيب، وإلى هذا القول ذهب ابن الراوندي والحسين بن الفضل البجلي. انظر أصول الدين للبغدادي عبدالقاهر ابن طاهر التميمي ت ٤٢٩هـ.

وقال ابن أبي العز الحنفي ت ٧٩٦هـ. اختلف الناس فيما يقع عليه اسم الإيمان اختلافاً كثيراً؛ فذهب مالك والشافعي وأحمد والأوزاعي وإسحاق بن راهويه وسائر أهل الحديث وأهل المدينة وأهل الظاهر وجماعة من المتكلمين إلى أنه تصديق بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان. وذهب الكثير من أصحابنا إلى ما ذكره الطحاوي، أنه الإقرار باللسان والتصديق بالجنان. ومنهم من يقول: إن الإقرار باللسان ركن زائد ليس بأصلي. وإلى هذا ذهب الماتريدي ت ٣٣٣هـ. ويروى عن أبي حنيفة. انظر شرح العميدة الطحاوية تحقيق أحمد شاكر طبع القاهرة.

واجتمعوا على أنه لو صدق بقلبه وأقر بلسانه وامتنع عن العمل بجوارحه، أنه عاص لله ورسوله. «استحق للوعيد».

وقالوا: إن القول قسمان، قول بالقلب وهو الاعتقاد.

وقول باللسان وهو التكلم بكلمة الإسلام.

والعمل قسمان: عمل القلب وهو نية وإخلاصة.

، وعمل الجوارح.

فإذا ما زالت هذه الأربعة زال الإيمان بكماله. وإذا زال تصديق القلب لم ينفع بقية الأخر. فإن تصديق القلب شرط في اعتبارها وكونها نافعة. وإذا بقي تصديق القلب وزال الباقي فهذا موضع المعركة.

وأما الإسلام شرعاً فهو الانقياد بالأفعال الظاهرة الشرعية^(٢).

الإسلام علانية والإيمان فى القلب فقد يجتمعان وذلك فى المصدق بقلبه المقر بالشهادتين.

وينفرد الإسلام عن الإيمان فى المنافق الذى ينطق بالشهادتين وينقاد لأحكام الإسلام ظاهراً وهو بقلبه مكذب غير مصدق.

وينفرد الإيمان عن الإسلام فىمن يصدق بقلبه ولا ينطق بالشهادتين عناداً ولا ينقاد للأفعال الظاهرة الشرعية وذلك ككثير من علماء اليهود الذين عرفوا أن سيدنا محمداً (ص) رسول صادق ولم ينطقوا بالشهادتين ولم يتبعوه ولم ينقادوا لما جاء به.

وقد قال الله تعالى فيهم: «يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ» [البقرة، ١٤٦].

فهم لم يقرؤا برسائله عناداً ويعتمدون فى قلوبهم صدقه فى دعوى الرسالة فهؤلاء مؤمنون به فى الباطن مكذبون به فى الظاهر عناداً فلا ينفعهم الإيمان الباطنى حيث كان تكذيبهم الظاهرى عناداً.

٢ والمعنى اللغوى وهو التصديق بالقلب هو الواجب على العبد حقاً لله. وهو أن يصدق الرسول (ص) فيما جاء به من عند الله. فمن صدق الرسول فيما جاء به من عند الله فهو مؤمن فيما بينه وبين الله تعالى. انظر شرح الطحاوية.

(٢) وهو ما يحكم الفقهاء بفسق تاركه واعتباره من العصاة وهو مفروض الطاعات كالصلاة والزكاة والصيام والحج واجتناب المحارم. انظر شرح الطحاوية.

واما إذا كان عدم الانقياد الظاهرى وعدم النطق بالشهادتين لعذر لا لعناد فإن الإيمان الباطنى يرفع صاحبه باطنا عند الله فى الدار الآخرة ولكنه فى الظاهر يعامل معاملة الكفار .

فيقال إنه كافر بحسب أحكام الدنيا .

والعذر الذى يمنع من الانقياد فى الظاهر له أسباب منها، الخوف من ظالم إن أظهر إسلامه وانقياده أن يقتله أو يؤذيه اذى لا يحتمل .

أويؤذى أحداً من أولاده أو أقاربه فهذا يجوز له إخفاء إسلامه .

بل لو أكرهه الظالم على التلقظ بالكفر فإنه يجوز له أن يتلفظ به .

وقد أشار سبحانه وتعالى إلى هذا بقوله «إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ» [النحل، ١٠٦] .

ومن هذا القبيل امتناع أبى طالب من الانقياد فى الظاهر خوفاً على ابن أخيه وهو سيدنا محمد (ص) فإنه كان يحميه وينصره ويدفع عنه كل اذى ليبلغ رسالة ربه .

وكان كفار قريش يمتنعون من إيذاء النبى رعاية لأبى طالب وحمایته . وكانت رئاسة قريش بعد عبدالمطلب لأبى طالب فكان أمره عليهم نافذاً وحمایته عندهم مقبولة لعلمهم بأن أبى طالب على ملتهم ودينهم ولو علموا أنه أسلم وتبع النبى (ص) فإنهم لا يقبلون حمايته ونصره بل كانوا يقائلونه ويؤذونه ويفعلون معه من الأذى أكثر مما يفعلونه بالنبى (ص) .

ولا شك ان هذا عذر قوى لأبى طالب مانع من إظهار الانقياد الظاهر والاتباع للنبي فلهذا كان يظهر لهم أنه على دينهم وملتهم وأنه إنما يدافع عن النبي لأجل القرابة التى بينه وبينهم.

وكانوا يعتقدون أنه يحميه وينصره للحمية لا للاتباع فى الدين بل للحمية التى كانت مشهورة بين العرب وقد كان فى الباطن قلبه مملؤا بتصديقه (ص) لما شاهده من المعجزات كما سيأتى إيضاح ذلك كله.

وكان يأتى فى الظاهر بالفاظ تدل على ذلك وبالفاظ أخرى يوهم بها على الكفار أنه على دينهم وليس متابعا للنبي (ص) ليدفع بها عن نفسه الشبهة والتهمة من أنه متبع للنبي لينفذوا حمايته ونصره.

ثم ذكر البرزنجى اختلاف العلماء فى النطق بالشهادتين هل هو شرط أى جزء من مسمى الإيمان أو شرط لإجراء الأحكام الدينوية. فيتربط على كونه شرطاً أى جزء إن تارك ذلك مع القدرة يكون كافراً مخلداً فى النار.

وعلى كونه شرطاً لإجراء الأحكام الدينوية يكون غير مخلد.

فقال، قال السفاقسى فى شرح التمهيد، ان كون الإيمان هو التصديق فقط هو الرواية الصحيحة عن أبى حنيفة^(٢).

وقال العلامة العيني فى شرح البخارى، ان الإقرار باللسان شرط لإجراء الأحكام

(٢) كما اشرنا سابقا وانظر شرح الضحاوية واصول الدين.

حتى أن من صدق الرسول في جميع ما جاء به فهو مؤمن فيما بينه وبين الله تعالى وإن لم يقر بلسان^(٤).

وقال حافظ الدين النسفي: إن ذلك هو المروي عن أبي حنيفة وإليه ذهب أبو الحسن الأشعري في أصح الروايتين عنه وهو قول أبي منصور الماتريدي^(٥).

وقال عضد الدين في المواقيت، الإيمان عندنا هو التصديق للرسول فيما علم مجيئه به ضرورة.

وقال شارحه السيد الشريفي: يعني بقوله عندنا اتباع أبي الحسن الأشعري.

وقد قرر الغزالي هذا المذهب في إحياء علوم الدين وأطال فيه.

وهو قول إمام الحرمين وقول الأشاعرة وقول القاضي الباقلاني والأستاذ أبي إسحق الأسفرايني ونسبه التفتازاني إلى جمهور المحققين^(٦).

واستدل له بالأحاديث منها قوله (ص): من علم أن الله ربه وإنى نبيه صادقاً عن قلبه حرم الله ثمنه على النار^(٧).

(٤) انظر كتاب الجنائز وكتاب الإيمان.

(٥) كما اشرنا سابقاً.

(٦) إمام الحرمين هو الفقيه الشافعي المعروف بضياء الدين أبو المعالي عبد الملك الجويني له الكثير من المصنفات ت عام ٤٧٨هـ.

والباقلاني هو القاضي أبو بكر محمد بن القاسم المعروف بالباقلاني البصري من علماء الكلام الأشاعرة نسبة إلى أبي الحسن الأشعري ت ٤٠٣هـ.

والأسفرايني هو إبراهيم بن مهران الأسفرايني من فقهاء الشافعية وأهل الكلام ت ٤١٨هـ.

(٧) رواه الطبراني في الكبير عن عمران بن حصين.

وروى مسلم عن عثمان بن عفان أن رسول الله قال من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة^(٨).

وروى الطبراني عن سلمة بن نعيم الأشجعي - رضى الله عنه - قال قال رسول الله (ص) من لقى الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة قال قلت يا رسول الله وإن زنى وإن سرق قال، وإن زنى وإن سرق^(٩).

قال وفي أحاديث الشفاعة من هذا شيء كثير حتى يقال له (ص) اخرج من النار من في قلبه أدنى أدنى من مثقال حبة خردل من إيمان بتكرير أدنى ثلاث مرات.

وعقد البرزنجي فصلاً مستقلاً ذكر فيه كثيراً من تلك الأحاديث وكلها دالة على أن من كان في قلبه أدنى أدنى من مثقال حبة من إيمان لا يخلد في النار.

ونقل التفازاني في شرح المقاصد والكمال بن الهمام في المسامرة وابن حجر في شرح الأربعين، إن شرط النجاة في الآخرة إذا لم يطالب - به أي النطق بالشهادتين - فإذا طولب به وامتنع عناداً وكرهية للإسلام أي امتنع امتناعاً على وجه الآباء عن الإسلام والكرهية والعناد فلا ينجو.

ويضهم من هذا القيد أنه لو ترك النطق بعد المطالبة لا إيماناً عنه ولا عناداً بل لعذر صحيح وقلبه مطمئن بالإيمان أنه لا يكون كافراً؛ فيما بينه وبين الله تعالى.

(٨) رواه مسلم في كتاب الإيمان وهو دليل صريح على إيمان أبي طالب حيث ربط الإيمان بالعلم لا بالنطق.

(٩) روى هذا الحديث أيضاً مسلم في كتاب الإيمان والبحارى كتاب اللباس وكتاب الجنائز. انظر المؤلف والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان.

بل لو تكلم بالكفر والحالة هذه لا يضره.

قال تعالى: «إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان» فهذه النصوص كلها تدل على أن الإيمان هو التصديق فقط ويقابلها القول بأن التصديق وحده لا يكفي بل لا بد من النطق باللسان مع التصديق فمن لم ينطق مع قدرته كان مخدداً في النار وقال بهذا كثيرون^(١٠).

ونقل النووي في شرح مسلم اتفاق أهل السنة من المحدّثين والفقهاء والمتكلمين على هذا القول واعترضوا عليه في حكاية الاتفاق^(١١).

قال ابن حجر في شرح الأربعين أن لكل من الأئمة الأربعة قولاً بأنه مؤمن عاص بترك التلفظ بل الذي عليه جمهور الأشاعرة وبعض محققي الحنفية كما قال المحقق الكمال بن الهمام وغيره أن الإقرار باللسان إنما هو شرط لإجراء أحكام الدنيا فحسب انتهى.

ثم ذكر اختلاف العلماء في أنه هل يشترط لفظ الشهادتين بلفظهما المعروف أو يكفي الإتيان بغير المعروف مما يدل على الإيمان.

وذكر فيه قولين للعلماء فقيل إنه يشترط اللفظ المعروف ولا يكفي غيره والراجح أنه لا يشترط خصوص اللفظ المعروف وأن الإيمان ينعقد بغير اللفظ المعروف^(١٢).

(١٠) أي من أهل السنة، انظر شرح الطحاوية.

(١١) انظر كتاب الإيمان.

(١٢) راجع ما أشرنا إليه سابقاً، وهي مسألة محل خلاف، وما دامت المسألة قد دخلت دائرة الخلاف فهذا يعني انعدام الجزم ببطلان المرجح.

وعبارة البرزنجى ثم ليعلم أن المراد بالنطق بالشهادتين ليس النطق بخصوصهما خلافاً للغزالي كما ذكر ذلك النووى فى الروضة ونسبه إلى الجميع فنقل عن الحلیمی فى منهاجه انه لا خلاف أن الإيمان یعتقد بغير القول المعروف وهو كلمة لا إله إلا الله.

حتى لو قال لا إله غیر الله أو ماعداً الله أو سوى الله أو من إله إلا الله أو لا إله إلا الرحمن أو لا رحمن إلا الله أو إلا الباری فهو كقوله لا إله إلا الله.

وكذا لو قال محمد نبي الله أو مبعوثه أو أحمد أو الماحى أو غير ذلك أو ما يؤدي ذلك باللغات العجمية صح إسلامه وحكم بكونه مسلماً.

الباب الثاني: أبو طالب والنبى (ص)

ثم قال البرزنجي إذا علمت ذلك فنقول تواترت الأخبار أن أبا طالب كان يحب النبي (ص) ويجوطة وينصره ويعينه على تبليغ دينه ويصدقه فيما يقوله ويأمر أولاده كجعفر وعلي باتباعه ونصره وكان يمدحه في أشعاره بما يدل على تصديقه وكان ينطق بأن دينه حق فمن كلامه المعروف،

ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية دينا

ومن شعره قوله،

ألم تعلموا أنا وجدنا محمدا رسولا كموسى صح ذلك في الكتب^(١)

وقد أوصى قريشًا باتباعه وقال والله لكأنى به وقد غلب ودانت له العرب والعجم فلا يسبقنكم إليه سائر العرب فيكونوا أسعد به منكم.

وهذه الوصية تكررت منه مرارًا تارة بوصى بها بنى هاشم وتارة بوصى بها كافة قريش.

وأوصى قريشًا عند قرب موته بوصية طويلة ولفظها، يامعشر قريش أتم صفة

(١) البيت الأول والثاني وردا في سيرة ابن إسحاق مع اختلاف يسير ولم يورد ابن هشام في شرحه لسيرة ابن إسحاق البيت الأول.

ونص البيت الأول هو،

وعرضت دينا قد عرفت أنه خير أديان البرية دينا

ونص البيت الثاني عند ابن إسحاق وابن هشام هو،

ألم تعلموا أنا وجدنا محمدا نبيا كموسى خط في أول الكتب

الله من خلقه وانتم قلب العرب وفيكم السيد المطاع والمقدام الشجاع والواسع الباع واعلموا انكم لم تتركوا للعرب فى المائر نصيبا إلا احرزتموه ولا شرفا إلا ادركتموه فلکم بذلك على الناس الفضيلة ولهم به إليكم الوسيلة والناس لكم حرب وعلى حريكم الرب.

وانى اوصيكم بتعظيم هذه البنية - يعنى الكعبة - فإن فيها مرضاة للرب وقواما للمعاش وثباتا للوطاة وصلوا ارحامكم فإن صلة الرحم منسأة اى فسحة فى الأجل وزيادة فى العدد واتركوا البغى والعقوق فبيهما هلكت القرون قبلكم واجيبوا داعى الله واعطوا السائل فإن فيهما شرف الحياة والممات وعليكم بصدق الحديث واداء الأمانة فإن فيهما محبة فى الخاص ومكرمة فى العام.

واوصيكم بمحمد خيرا فإنه الأمين فى قريش والصديق فى العرب وهو الجامع لكل ما اوصيتكم به وقد جاء بأمر قبيلة الجنان وانكره اللسان مخافة الشنان.

وايم الله كانى انظر إلى صعاليك العرب وأهل الأطراف والمستضعفين من الناس ن اجابوا دعوته وصدقوا كلمته وعظموا أمره فخاض بهم غمرات الموت فصارت رؤساء ريش وصناديدها أذنايا ودورها خرابا وضعفاؤها اربابا وإذا اعظمهم عليه احوجهم إليه وأبعدهم منه أحظاهم عنده. قد محضته العرب ودادها وأعطته قيادها.

يا معشر قريش كونوا له ولاة وحزبه حماة.

وفى رواية دونكم وابن ابيكم كونوا له ولاة وحزبه حماة والله لا يسلك أحد سبيله إلا رشد ولا يأخذ أحد بهدية إلا سعد ولو كان لنفسى مدة ولأجلى تأخير لكففت عنه

الهزاهز ولدفعت عنه الدواهى^(٢).

فانظر واعتبر أيها الواقف على هذه الوصية كيف وقع جميع ما قاله ابو طالب بطريق الفراسة الصادقة الدالة على تصديقه النبى.

وقال لهم مرة لن تزالوا بخير ما سمعتم من محمد وما اتبعتم امره فأطيعوه
ترشدوا.

وقد نوه ابو طالب بنبوة النبى قبل ان يبعث لأنه ذكر ذلك فى الخطبة التى خطب
بها حين تزوج (ص) بخديجة رضى الله عنها.

فقال فى خطبته تلك الحمد لله الذى جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل
وثنىء معد وعنصر مضر وجعلنا حصنة بيته وسواس جرمه وجعل لنا بيتا محجونا
وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس ثم إن ابن أخى هذا محمد بن عبد الله لا يوزن
برجل إلا رجح شرقا ونبالا وفضلا وعقلا وهو والله بعد هذا له نبا عظيم وخطر جسم
وكان هنا قبل بعثته (ص) بخمسة عشرة سنة^(٣).

فانظر كيف نفرس فيه ابو طالب كل خير قبل بعثته فكان الأمر كما قال وذلك من
أقوى الدلائل على إيمانه وتصديقه بالنبى حين بعثه الله تعالى.

(٢) انظر دلائل النبوة للبيهقى وانظر دلائل ابى نعيم.

(٣) ورد نص هذه الخطبة فى صفة الصفوة لابن الجوزى ج ١ / ٢٩. ط بيروت من اول الكلام حتى
قوله لا يوزن. وبقية الكلام مختلف وليس فيه إشارة إلى نبوة محمد (ص) ووردت بكاملها فى
هامش باب تزويج خديجة . سيرة ابن هشام تحقيق محيى الدين عبد الحميد.

وروى البخارى فى تاريخه عن عقيل بن أبى طالب رضى الله عنه أن قريشاً قالت لأبى طالب رضى الله عنه إن ابن أخيك هذا قد آذانا.

فقال للنبي (ص) إن بنى عمك هؤلاء زعموا أنك تؤذيهم.

فقال لو وضعت الشمس فى يمينى والقمر فى شمالى على أن أترك هذا الأمم حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته ثم استعبر رسول الله (ص) بأكدنا فقال أبو طالب يا ابن أخى قل ما أحببت فوالله به سلمك لهم أبداً.

وقال لقريش . صدقه ما كذب ابن أخى قط^(٤).

فانظر إلى نفى الكذب عنه بالحلف بحضور خصمائه قريش وقد جاؤه يشكون إليه.

وانظر إلى قوله زعموا أنك تؤذيهم حيث لم يطلق القول بأنه يؤذيهم بل جعل ذلك أذى باعتبار زعمهم وأنهم يزعمون أنه من قبل نفسه وليس من عند الله فقال إن كان أذى أى كما زعموا فانتته عن أذاهم فلما قال له إنه من عند الله يبين كما أنكم على يقين من رؤية هذه الشمس صدقه ونفى عنه الكذب وقال الله ما كذب ابن أخى قط.

وقد روى أبو طالب أحاديث عن النبي وكلمات تدل على إيمانه وامتلاء قلبه من التوحيد.

(٤) انظر سيرة ابن هشام ج ١ . وتاريخ الطبرى ج ١ .

فمن ذلك ما رواه الخطيب البغدادي بإسناده إلى جعفر الصادق عن أبيه محمدًا الباقر عن أبيه زين العابدين عن أبيه الحسين عن أبيه علي بن أبي طالب قال سمعت أبا طالب يقول حدثني محمدًا ابن أخي وكان والله صدوقًا قال، قلت له بم بعثت يا محمد؟ قال، بصلة الأرحام وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة^(٥).

والمراد من الصلاة ركعتان قبل طلوع الشمس وركعتان قبل غروبها كانتا في أوائل الإسلام أو المراد صلاة التهجد فإنه (ص) كان يضعه من أول بعثته.

ولا يصح حمل الصلاة على الصلوات الخمس لأنها إنما فرضت ليلة الإسراء وكان ذلك بعد موت أبي طالب بنحو سنة ونصف وكان موت أبي طالب في النصف من شوال في السنة العاشرة من البعثة وعمره بضع وثمانون سنة.

والمراد من الزكاة مطلق الصدقة وإكرام الضيف وحمل الكل ونحو ذلك من الصدقات المالية.

ومثل هذه الأشياء كان أبو طالب أسها ومعدنها.

وليس المراد الزكاة الشرعية المعروفة ولا زكاة الفطر لأن ذلك إنما فرض بعد الهجرة في المدينة وكل ذلك كان بعد موت أبي طالب.

وأخرج الخطيب أيضًا بسنده إلى أبي رافع مولى أم هانئ بنت أبي طالب أنه سمع أبا طالب يقول حدثني محمدًا ابن أخي أن الله أمره بصلة الأرحام وأن يعبد الله لا يعبد معه أحدًا. قال ومحمد عندي الصدوق الأمين.

(٥) انظر تاريخ بغداد وهذا الإسناد خاص بآل البيت.

وقال ايضا سمعت ابن اخی يقول أشكر. ترزق ولا تكفر تعذب.

وأخرج ابن سعد والخطيب وابن عساکر عن عمرو بن سعيد أن أبا طالب قال كنت بذى المجاز مع ابن اخی فأدركنى العطش فشكوت إليه ولا أرى عنده شيئاً فقال فتنى وركه ثم نزل فأهوى بعقبه إلى الأرض فإذا بالماء فقال اشرب يا عم فشربت^(٦).

قال البرزنجي فلو لم يكن موحداً لما رزقه الله الماء الذي نبع للنبي (ص) الذي هو افضل من ماء الكوثر ومن ماء زمزم.

وقال، الذي يرى مثل هذه المعجزة كيف لا يقع التصديق في قلبه وقد كثرت القرائن الدالة على التصديق.

وأخرج ابن عدي عن أنس بن مالك قال مرض أبو طالب فعاده النبي فقال يا ابن اخی ادع الله أن يعافيني فقال اللهم اشف عمي فقام كأنما نشط من عمال.

وأخرج أبو نعيم من طريق أبي بكر بن عبد الله بن الجهم عن أبيه عن جده قال سمعت أبا طالب يحدث عن عبدالمطلب إنه رأى في منامه أن شجرة نبئت من ظهره قد نال رأسها السماء وضربت أغصانها المشرق والمغرب قال وما رأيت نوراً أزهى منها أعظم من نور الشمس سبعين ضعفاً.

ورأيت العرب والعجم ساجدين وهي تزداد كل ساعة عظمتاً ونوراً وارتفاعاً ساعة تخفى وساعة تظهر.

(٦) صفة الصفة، ج ١ / ٤٠ وطبقات ابن سعد، ج ١ / باب ذكر علامات النبوة في رسول الله قبل أن يوحى إليه. وانظر تاريخ بغداد وتاريخ دمشق.

ورأيت رهطاً من قريش قد تعلقوا بأغصانها وقوماً من قريش يريدون قطعها فإذا دنوا منها أخذهم شاب لم أرقط أحسن منه وجهاً ولا أطيب ريحاً فيكسر أظفرهم ويقلع أعينهم فرفعت يدي لأتناول نصيباً فلم أنل.

فقلت لمن النصيب؟ فقال النصيب لهؤلاء الذين تعلقوا بها.

فانتبهت مذعوراً فأتيت كاهنة لقريش فأخبرتها فرأيت وجه الكاهنة قد تغير. ثم قالت لئن صدقت رؤياك ليخرجن من صلبك رجل يملك المشرق والمغرب وتدين له الناس.

فقال عبدالمطلب لأبي طالب لعلك أن تكون هو المولود فكان أبو طالب يحدث بهذا الحديث والنبى (ص) قد بعث ويقول كانت الشجرة وإله أبا القاسم الأمين.

فيقال له الا تؤمن فيقول السبى والعار (٧).

وإنما كان يقول ذلك تعمية وتستراً وإظهاراً لقريش إنه على دينهم ليتم له نصرة النبى وحمایته لأنهم حيث علموا أنه معهم وعلى دينهم يقبلون حمایته بخلاف ما لو أظهر لهم مخالفتهم واتباعه النبى (ص) فهذا هو العذر له فى قوله السبى والعار وفى بقائه ظاهراً على دينهم.

وأخرج ابن سعيد عن عبد الله بن ثعلب بن صغير العذرى إن أبا طالب لما حضرته الوفاة دعا بنى عبدالمطلب فقال لن تزالوا بخير ما سمعتم من محمد وما اتبعتم أمره فاتبعوه وأعينوه ترشدوا.

قال البرزنجى قلت بعيد جدا ان يعرف ان الرشاد فى اتباعه ويأمر غيره ثم يتركه هو.

وروى الحافظ ابن حجر فى الإصابة عن على رضى الله عنه انه لما أسلم قال له ابو طالب الزم ابن عمك.

وأخرج أيضا عن عمران بن حصين إن أبا طالب قال لابنه جعفر صل جناح ابن عمك فصلى جعفر مع النبى (ص) كما صلى على رضى الله عنه^(٨).

قال البرزنجى، فلولا إنه مصدق بدينه لما رضى لإبنيه أن يكونا معه وأن يصليا معه بل ولا كان يأمرهما بالصلاة فإن عداوة الدين أشد العداوات كما قيل،

كل العداوات قد ترجى إمانتها إلا عداوة من عاداك فى الدين

فهذه الأخبار كلها صريحة فى أن قلبه طافح ومعتلىء بالإيمان (ص).

ومن ذلك أيضا إن أبا طالب سافر إلى الشام وكان عمر النبى (ص) إذ ذلك تسع سنين فصحبه معه فرآه بحيرا الراهب - بفتح الباء - ورأى فيه علامات النبوة فأخبر عمه أبا طالب وأمره بإرجاعه إلى مكة مخافة عليه من اليهود فردّه إلى مكة^(٩).

ومن ذلك أيضا ما شاهده أبو طالب فى زمن عبدالمطلب من استسقاؤه بالنبى (ص).

(٨) انظر ترجمة الإمام على فى ج ٢. وانظر ترجمة جعفر فى ج ١ ترجمة رقم ١١٦٦.

(٩) انظر قصة بحيرا الراهب فى سيرة ابن هشام ج ١ وطبقات ابن سعد ج ١ وكتب التاريخ.

فقد روى الخطابي أن قريشًا تتابعت عليهم سنو جديب في حياة عبدالمطلب فارتقى هو ومن حضر معه من قريش أبا قبيس بعد أن استلموا ركن البيت فقام عبدالمطلب واعتضد النبي (ص) فرقعته على عاتقه وهو يومئذ غلام ثم دعا فسقوا في الحال.

واستسقى به أبو طالب أيضًا بعد وفاة عبدالمطلب حين أصاب أهل مكة قحط شديد فأتوا أبا طالب فقالوا له قد ألقط الوادي وأجذب العيال فهلم فاستسق. فخرج أبو طالب ومعه النبي (ص) وهو غلام فأخذه أبو طالب فألصقه بالكعبة ولاذ الغلام أي أشار بإصبعه إلى السماء كالملتجئ وما في السماء قرعة فأقبل السحاب من ههنا وههنا وأمطرت السماء وأغدق الوادي وكثر قطره وأخصب النادي والبادي.

وفي هذه يقول أبو طالب بعد بعثه النبي يذكر قريشًا يده (ص) وبركته عليهم من صغره:

وابيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل
يلوذ به الهلاك من آل هاشم فهم عنده في نعمة وفواضل^(١٠)

فهذه الآثار والأخبار كلها صريحة في أن أبا طالب رأى من الآيات والمعجزات وخوارق العادات التي ظهرت للنبي (ص) ما أوجب أن يصدقه ويؤمن به إيمانًا لا شك فيه ولا تردد.

ورأى أبو طالب أيضًا للنبي (ص) آيات وخوارق عادات في صغره غير هذه وذلك أن أبا طالب كان قليل المال وكان ذا عيال فكان عياله إذا أكلوا وحدهم جميعًا أو فرادى

(١٠) البيت الأول ذكره ابن هشام بعد حديث استسقاء رسول الله لأهل المدينة والبيتين ذكرنا قبل ذلك في قصيدة طويلة لأبي طالب مع اختلاف كلمة رحمه بدل نعمة في البيت الثاني.

لم يشبعوا وإذا أكل معهم النبي (ص) شبعوا فكان أبو طالب إذا أراد أن يغذيهم أو يعشيهم يقول لهم انتم كما انتم حتى يأتي ابني فيأتي رسول الله فيأكل معهم فيشبعون فيفضلون من طعامهم وإذا كان طعامهم لبنا شرب رسول الله أولهم ثم تناول العيال القدرج من الخشب فيشربون منه فيروون من عند آخرهم أي جميعهم من القدرج وإن كان أحدهم وحده يشرب قدرجًا واحدًا وحده فيقول أبو طالب للنبي (ص) إنك لمبارك^(١١).

وأخرج أبو نعيم وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان أبو طالب يحب النبي (ص) حبًا شديدًا لا يحب أولاده مثله ولذا لا ينام إلا جنبه ويخرجه معه حين يخرج.

وكان النبي (ص) يحب أيضًا أبا طالب حبًا شديدًا ولا يأوى إلا إليه ولا يطمئن قلبه إلا باتصاله به وكان (ص) يقول لما مات أبو طالب: نالت قريش مني من الأذى ما لم تكن تطمع فيه في حياة أبي طالب.

وقال أيضًا: ما نالت قريش مني شيئًا أكره حتى مات أبو طالب.

ولما رأى قريشًا تهجموا على أذيته قال يا عم ما أسرع ما وجدت بعدك.

ومات أبو طالب وخديجة في عام واحد فكان رسول الله (ص) يسمي ذلك العام عام الحزن^(١٢).

(١١) انظر طبقات ابن سعد .

(١٢) انظر سيرة ابن هشام وطبقات ابن سعد وكتب التاريخ سنة وفاة أبي طالب عام الحزن.

ولما ظهر أمر النبي (ص) وصار يدخل في دينه كثير من الناس اجتمع كفار قريش على قتل رسول الله.

وقالوا قد افسد علينا ابناءنا ونساءنا.

وقالوا لبني هاشم خذوا هذه دية مضاعفة ويقتله رجل من قريش وتريحونا وتريحوا انفسكم.

فابى بنو هاشم. فعند ذلك اجتمع راي قريش على منابذة بنى هاشم وبنى المطالب وإخراجهم إلى شعب ابن طالب والتضييق عليهم بالمنع من حضور الأسواق وأن لا يناكحوهم وأن لا يقبلوا لهم صلحاً أبداً ولا تأخذهم بهم رافة حتى يسلموا إليهم رسول الله للقتل وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها في الكعبة^(١٢).

وقيل إن ابا طالب لما راي اجتماع قريش على قتل النبي (ص) جمع بنى هاشم وبنى المطالب مؤمنهم وكافرهم وأمرهم أن يدخلوا برسول الله الشعب ويمنوه ففعلوا ولم يتخلص عنهم إلا ابو لهب.

فلما علمت قريش ذلك اجمع رايهم على أن يكتبوا عهداً ومواثيق على أن لا يجالسوهم ولا يناكحوهم ولا يقبلوا لهم صلحاً أبداً وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها في الكعبة.

(١٢) انظر قصة حصار قريش لبني هاشم في الشعب وقصة الصحيفة في سيرة ابن هشام وطبقات ابن سعد وكتب التاريخ.

ومكث بدو هاشم فى الشعب ثلاث سنين وقيل سنتين واصابهم ضيق شديد حتى
اكلوا ورق الشجر يتقوتون به .

وكان ابو طالب فى تلك المدة يتحفظ غاية التحفظ على النبى (ص) حتى انه اذا
جاء الليل واراد النبى ان ينام يفرش له فراش فى الموضع الذى يعتاد ان ينام فيه
فيضطجع فيه النبى ثم يقيمه عمه عن فراشه المعتاد ويامر بعض بنيه ان ينام فى ذلك
الموضع ويفرش للنبي فى موضع آخر غير معتاد نومه فيدعه ينام فيه كل ذلك مبالغة
فى حفظه وحراسته .

والذى كتب الصحيفة لقريش شلت يده واوحى الله تعالى للنبي (ص) انه سبحانه
وتعالى سلط الأرضة على صحيفتهم التى كتبوها وعلقوها فى الكعبة فأكلت ما فيها من
عهد وميثاق وقطيعة رحم ولم يبق فى الصحيفة غير اسم الله عز وجل فإنهم كانوا
يكتبون باسمك اللهم .

فأخبر النبى عمه ابا طالب بذلك فخرج من الشعب حتى أتى المسجد فاجتمع
عليه قريش وظنوا انه يريد ان يسلمهم النبى ليقتلوه .

فقالوا له توبخا له ولن معه قد آن لكم ان ترجعوا عما احدثتم علينا وعلى
انفسكم .

فقال ابو طالب إنما أتيتكم فى امر نصف بيننا وبينكم - أى امر وسط - لا حيف
فيه علينا ولا عليكم إن ابن أخى اخبرنى ولم يكذبنى قط ان الله تعالى قد سلط على
صحيفتكم التى كتبتم الأرضة فلحست كل ما كان فيها من جور أو ظلم أو قطيعة رحم

وبقى بها كل ما ذكر به الله تعالى فإن كان الحديث كما يقول فأفيقوا - فى رواية -
نزعتم أى رجعتم عن سوء رأيكم وإن لم ترجعوا فو الله لا نسلمه حتى نموت من عند
آخرنا.

وإن كان الذى يقول باطلا دفعنا إليكم صاحبنا فقتلتهم أو استحييتهم.

فقالوا قد رضينا بالذى تقول.

وفى رواية أنصفتنا فأخرجوا الصحيضة فوجدوا الأمر كما أخبر الصادق
المصدوق (ص).

فلما رأت قريش صدق ما جاء به أبو طالب قالوا أى قال أكثرهم هذا سحر ابن
أخيك وزادهم ذلك بغيا وعدوانا.

وبعضهم ندم وقال هذا بغى منا على إخواننا وظلم.

فقال لهم أبو طالب بعد أن وجد الأمر كما أخبر (ص) يا معشر قريش علام
نحصر ونحبس وقد بان الأمر وتبين إنكم أولى بالظلم والإساءة والقسوة.

ودخل أبو طالب ومن معه تحت أستار الكعبة وقالوا اللهم انصرنا على من ظلمنا
وقطع أرحامنا واستحل ما يحرم عليه منا ثم انصرفوا إلى الشعب.

وعند ذلك مشى طائفة منهم فى نقض الصحيفة وإبطال ذلك الحصار^(١٤).

(١٤) انظر طبقات ابن سعد ج ١ / باب ذكر حصر قريش رسول الله (ص) وبنى هاشم فى الشعب.
وانظر سيرة ابن هشام ج ١ / باب خبر الصحيفة وباب حديث نقض الصحيفة.

والكلام على ذلك طويل وإنما القصد بيان أن ابا طالب اطلع الله على كثير مما خص الله نبيه به من الآيات والمعجزات وخوارق العادات من مبتدا أمره (ص) وهو صغير إلى منتهاه وباطلاعه على تلك الآيات والمعجزات صار قلبه مشحوناً ممتلئاً بالإيمان والتصديق بالنبي (ص) إيماناً قطعياً لا شك فيه ولا شبهة ولم يظهر ذلك الإيمان ويتابعه ظاهراً مبالغة فى حفظ النبي وحمائته وصيانتته عما يؤذيه فكان يظهر لقريش أنه على ملتهم ودينهم فلا يستطيعون مخالفته.

فمن عرف ذلك وقف على باطن الأمر وحقيقته. ولم يشك فى إيمان أبى طالب فكان فى نصرة النبي يخادع قريشاً مخادعة الحرب حتى تم أمر النبي (ص) وفشت دعوته.

الباب الثالث: شعر أبي طالب

وقد صرح بالتصديق بنبوۀ النبى (ص) فى كثير من أشعاره وكان فى بعض تلك الأشعار يأتى بالفاظ توهم على قريش أنه معهم وأنه على ملاتهم كل ذلك مخادعة لهم للمبالغة فى حفظ النبى وحمائته فمن أشعاره التى دلت على تصديقه بنبوۀ النبى (ص) ما تقدم من قوله:

الم تعلموا أنا وجدنا محمداً رسولاً كموسى صح ذلك فى الكتب

وهذا البيت من قصيدة طويلة لأبى طالب قالها فى زمن محاصرة قريش لهم فى الشعب وهى قصيدة طويلة بليغة غراء تدل على غاية محبته للنبى وعلى التصديق بنبوته وشدة حمايته له والذب عنه ومطالعها:

الا بلغا عنى على ذات بيننا لؤيساً وخصاً من لؤى بنى كعب
الم تعلموا أنا وجدنا محمداً رسولاً كموسى صح ذلك فى الكتب

ويروى نبياً كموسى خط ذلك فى الكتب.

وإن عليه فى العباد مودة ولا خير ممن خصه الله بالحب

ومنها:

فلسنا ورب البيت نسلم أحمداً لعزاء من عض الزمان ولا كرب^(١)

ومن شعره قوله:

(١) انظر ابن هشام ج/١ باب خبر الصحيفة.

وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد

هكذا نسب الحافظ بن حجر فى الإصابة هذا البيت لأبى طالب وقيل إنه لحسان ابن ثابت الأنصارى.

قال البرزنجى: ولا مانع أن يكون لأبى طالب وأخذه حسان فضمنه شعره.

واجتمع مرة كفار قريش وجاءوا أبا طالب ومعهم عمارة بن الوليد بن المغيرة وكان من أحسن فتيان قريش وقالوا لأبى طالب خذ هذا بدل محمد يكون كالأبى لك وأعطنا محمدنا نقتله.

فقال ما أنصفتمونى يا معشر قريش آخذ ابنكم أربيه وأعطيتكم ابنى تقتلونته ثم قال،

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى اوسد فى التراب دفينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة وايشر بذاك وقر منك عيونا
ودعوتنى وعلمت أنك صادق ولقد صدقت وكنت ثم أمينا
ولقد علمت بأن دين محمد من خير اديان البرية دينا^(٢)

وزاد بعضهم بعد هذا،

(٢) انظر النص فى سيرة ابن هشام دون الأبيات المذكورة باب الجهر بالدعوة ج/ ١٠. ووردت الأبيات فى نص ابن إسحاق باب ما نال اصحاب رسول الله (ص) من البلاء والجهد، مع اختلاف فى بعض الكلمات.

لولا المسببة أو حذار ملامة لوجدتني سمحا بذائك مييناً^(٣)

فقل إن البيت موضوع ادخلوه في شعر أبي طالب وليس من كلامه وقيل أنه من كلامه وأتى به للتعمية على قريش ليوهم عليهم أنه معهم وعلى ملتهم ولم يتابع محمداً ليقبلوا حمايته ويمثلوا أمره.

ومن شعره قوله في النبي (ص)،

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل
يلوذ به الهالك من آل هاشم فهم عنده في رحمة وفواضل

وهذان البيتان من قصيدة طويلة لأبي طالب قيل إنها ثمانون بيتاً افرد لها بعض العلماء شرحاً مستقلاً وقيل إنها تزيد على مائة بيت قالها أبو طالب حين حصر قريش لهم في الشعب وأخبر قريشاً أنه غير مسلم محمداً رسول الله (ص) لأحد أبداً حتى يهلك دونه ومدحه فيها مدحاً بليغاً وأتى فيها بكلام صريح في أنه مصدق بنبوته ومؤمن به فمنها البيتان السابقان ومنها قوله،

لعمري لقد كلفت وجداً بأحمد وأحبهته حب المحب المواصل
لقد علموا أن ابننا لا مكذب لدينا ولا يعزى لقول الأباطل
فمن مثله في الناس أي مؤمل إذا قاسه الحكام عند التفاضل
حليم رشيد عاقل غير طائش يوالى إليها ليس عنه بغافل
فأصبح فينا أحمد في أرومة تقصر عنها سورة المتطاول
حدثت بنفس دونه رحيمته ودافعت عنه بالذرا والكلاكل^(٤)

(٣) هذه الزيادة وردت في نص ابن إسحاق.

(٤) انظر سيرة ابن هشام وهذه الأبيات منتقاة من قصيدة طويلة لأبي طالب.

وفى القصيدة آيات كثيرة مثل هذه فى المعنى والبلاغة.

قال ابن كثير أن هذه القصيدة بليغة جدا لا يستطيع أن يقولها إلا من نسبت إليه
وهى أفحل من المعلقات السبع وأبلغ فى تأدية المعنى (٥).

وأخرج البيهقي عن انس بن مالك قال جاء أعرابي إلى النبي (ص) وشكا الجذب
والقحط وأنشد آياتا فقام رسول الله (ص) حتى صعد المنبر فرفع يديه إلى السماء
ودعا فما رد يديه حتى التفت السماء بأبرقها ثم بعد ذلك جاؤا يضحجون من كثرة المطر
خوف الغرق فقال اللهم حوالينا ولا علينا وضحك (ص) حتى بدت نواجذه ثم قال لله در
ابى طالب لو كان حيناً لقرت عيناه. من ينشدنا قوله؟

فقال على رضى الله عنه وكرم وجهه كأنك تريد قوله:

وابيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

فقال (ص) أجل (٦).

قال البرزنجي، فقول النبي (ص) لله در أى طالب يشهد له بأنه لو رأى النبي وهو
يستسقى على المنبر لسره ذلك ولقرت عيناه فهذا من النبي شهادة لأبى طالب بعد موته
أنه كان يفرح بكلمات النبي وتقر عينه بها وما ذلك إلا لسر وقر فى قلبه من تصديقه
بنيوته وعلمه بكمالاته.

(٥) البداية والنهاية، ج ١.

(٦) انظر دلائل النبوة وجاء نص هذا الحديث فى سيرة ابن هشام أيضا غير أنه لم يشر إلى ذكر
على فيه .

ثم قال البرزنجي، فتأمل هذه المعاني الدقيقة ولا تكن ممن استحققرها لحقارة
قائلها وفوق كل ذي علم عليم.

ومن غرر مدائح أبي طالب للنبي (ص) الدالة على تصديقه إياه قوله،

إذا أجمعت يوماً قريش لمُخِر
فإن حصلت أنساب عبد منافها
وإن فخرت يوماً فإن محمداً
هو المصطفى من سرها وكريمها
فعبد مناف سرها وصميمها
ففي هاشم أشرافها وقديمها

وهذا موافق لقوله (ص) واصطفاني من بني هاشم^(٧).

قال البرزنجي، وهذا نطق بالوحي قيل صدوره من النبي فإنه أخبر بذلك بعد
مدة من قول أبي طالب.

والحديث وحى كالقرآن فثبت بهذه الأخيار والأشعار أن أبا طالب كان مصدقاً
بنبوة النبي وذلك كاف في نجاته.

قال القرافي في شرح التنقيح عند قول أبي طالب،

وقد علموا أن ابننا لا مكذب لدينا ولا يعزى لقول الأباطل

(٧) جاءت هذه الأبيات في سيرة ابن هشام. أما حديث الاصطفاء فنصه،
إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى من قريش بني
هاشم واصطفاني من بني هاشم. رواه مسلم كتاب الفضائل. باب فضل نسب النبي (ص).

إن هذا تصريح باللسان واعتقاد بالجنان وإن أبى طالب ممن آمن بظاهره وباطنه
غير أنه كفر ظاهرا ولم يدعن للفروع.

وكان يقول إنى لأعلم أن ما يقول ابن اخی حق ولولا إنى أخاف أن تعيرنى نساء
قریش لاتبعته اهد.

وإجیب كما مر بأنه لم يدعن ظاهرا خوفا من أن قریشنا لا تقبل حمايته.

وقوله لولا إنى أخاف أن تعيرنى نساء قریش إنما قال ذلك تعمیة على قریش
لیوهم علیهم أنه على دینهم وهذا عذر صحیح بلغ به تمکین النبى (ص) فى نبوته
والدعوة إلى ربه.

وجاء فى مسلم أنه یقال للنبى (ص) یوم القیامة اخرج من كان فى قلبه مثقال
حبة من خردل من إیمان^(٨).

فهذا الحدیث وغيره مما یماثله من الأحادیث كلها تدل بظاهرها على أن النطق
بالشهادتین لیس شرطا فى النجاة بل ولا دخل له فیها وإلا لما كان قائلها نفاقا فى
الدرك الأسفل من النار.

(٨) مسلم كتاب الإیمان باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار ولیس هذا نصه. فقد ورد
كما یلى: یدخل الله أهل الجنة الجنة یدخل من یشاء برحمته یدخل أهل النار النار ثم یقول،
انظروا من وجدتم فى قلبه مثقال حبة من خردل من إیمان فأخرجوه.

الباب الرابع: أبو طالب والشفاعة

قال البرزنجي، وهذا الذي اخترناه من كون نجاته أبي طالب لما كان عنده من التصديق الكافي في النجاة في الآخرة هو طريق المتكلمين من أئمتنا الأشاعرة وهو ما دلت عليه أحاديث الشفاعة وأحاديث الشفاعة كثيرة وكلها فيها التصريح بأنها لا تنال مشربكا وقد نالت الشفاعة أبا طالب كما سيأتي بيانه فدل ذلك على عدم إشراكه.

ثم ذكر البرزنجي الدلائل التي تمسك بها القائلون بعدم نجاته وقلب استدلالهم بها على عدم النجاة وجعلها دالة على النجاة.

فمن ذلك ما رواه البخاري ومسلم عن العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه عم النبي (ص) أنه قال لرسول الله (ص) إن أبا طالب كان يحوطك أي يحفظك وينصرك ويغضب لك فهل ينضه ذلك.

قال نعم وجدته في غمرات من النار.

أي مشرفا عليها كما سيأتي تفسيره.

وفي رواية، وكان في غمرات من النار أي مشرفا عليها فأخرجته إلى ضحضاح ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار^(١).

والضحضاح مارق من الماء على وجه الأرض إلى نحو الكعبين فاستعير للنار.

(١) البخاري في كتاب مناقب الأنصار باب قصة أبي طالب. ومسلم كتاب الإيمان باب شفاعة النبي (ص) لأبي طالب.

وفى رواية للبخارى ومسلم أيضاً عن ابي سعيد الخدرى رضى الله عنه انه (ص) ذكر عنده عمه ابو طالب فقال لعله تناله شفاعتى يوم القيامة فيجعل فى ضحضاح من نار يبلغ كعبيه يغلى منها دماغه^(٢).

وروى مسلم وغيره عنه (ص) ان ابا طالب اهون اهل النار عذاباً^(٣).

قال القائلون بعدم نجاته ان هذه الأحاديث الصحيحة دالة على كفره وعلى انه فى النار فلا يمكن القول بنجاته لأن النبى (ص) أخبر بحاله فيما بينه وبين الله فى الدار الآخرة فدل انه لم يكن مصدقاً بقلبه واما ما صدر منه من نصرة النبى (ص) فإنما كان من باب حمية العرب والأنفة من ان يغتال ابنه من بين يديه وقد كلفه بذلك عبدالمطلب.

ثم قال البرزنجى، قلت الجواب ان نفس الأحاديث التى ذكرت تدل على نجاته وذلك ان الله تعالى قد أخبر عن الكفار بأنهم لا يخفف عنهم من عذابها وبأنهم لا يفتر عنهم وبأنهم ما هم منها بمخرجين وبأنهم لا تنفعهم شفاعاة الشافعين إلى غير ذلك.

وقد ثبت فى الأثر الصحيح أن الجحيم هى الطبقة التى يعذب فيها عصاة المؤمنين ثم يخرجون منها وهى أعلى طبقات النار وعصاة المؤمنين عذابهم أخف من عذاب الكفار.

(٢) البخارى كتاب مناقب الأنصار. ومسلم كتاب الإيمان وانظر طبقات ابن سعد ج ١ باب ذكر ابي طالب.

(٣) كتاب الإيمان باب اهون اهل النار عذاباً.

وحيث صح إن أبا طالب أهون أهل النار عذابًا على الإطلاق فيكون أهون عذابًا حتى من عصاة المؤمنين ولو لم نقل بذلك لما صدق قوله (ص)، إنه أهون أهل النار عذابًا.

ولو فرض أنه كافر يخلد في النار وهو أهون أهل النار عذابًا لكان عذاب الكفر أهون من عذاب بعض المؤمنين العصاة وهذا لا يقول به أحد.

فتثبت أن عذابه أهون من عصاة المؤمنين.

وثبت أنه تنفعه شفاعة النبي (ص) ولهذا خفف عنه العذاب وجعل أخف أهل النار عذابًا فأخرج من طمطام النار وغمراتها أي أبعد عما كان مشرقًا على دخوله لولا النبي (ص) إلى ضحضحاح منها والبس نعلين من النار فصارت لا تغلى ظهور رجله وهذه هي أعلى النار لا أعلى منها بحيث أن النار ما مست إلا تحت قدميه وليس ذلك إلا في الطبقة فوقانية التي مكان عصاة هذه الأمة.

وقد صححت الأحاديث بأنهم يخرجون منها بحيث لا يبقى فيها من كان في قلبه أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل من إيمان⁽⁴⁾.

وقد صح أيضًا أن هذه الطبقة بعدما يخرج منها عصاة هذه الأمة تنطفئ نارها وتصفق الريح أبوابها وينبت فيها الجرجير ولا يجوز أن ينبت فيها الجرجير وفيها نار تمس تحت القدم فوجب أن يخرج منها أبو طالب بهذه الأدلة وكلها صحيحة.

(4) انظر مسلم كتاب الإيمان باب آخر أهل النار خروجًا. والبخارى كتاب الرقاق باب صفة الجنة والنار وكتاب التوحيد وسنن البيهقي ومسند أحمد وانظر أبواب الشفاعة في كتب العقائد.

ثم قال البرزنجى : ولقول ورد فى الصحيح انه (ص) قال شفاعتى لأهل الكيائى (٥).

وفى لفظه لمن لم يشرك بالله شيئاً. واللام للاختصاص مثل الحمد لله.

ومعناه شفاعتى مختصة بأهل الكيائى وحيث كانت مختصة بأهل الكيائى فهى لا تكون لمشرك يعنى أن الشفاعة التى لغضبان الذنوب تختص بأهل الكيائى فإن الصغائر يكفرها اجتناب الكيائى.

والكفار لا تنفعهم شفاعة الشافعين لأن الله لا يغفر أن يشرك به وإذا لم يغفر لم يدخل تحت الشفاعة لأن كل عذاب فى مقابلة ذنب ما لم يغفر ذلك الذنب لا يرفع عنه العذاب الذى فى مقابله وإذا لم يغفر الشرك صدق أن لا تنفعه شفاعة الشافعين.

والشافعين جمع محلى باللام فيفيد العموم لجميع الشافعين فتدخل شفاعته (ص) فإنها لا تنفع الكافرين كما لا تنفعهم شفاعة غيره.

وأبو طالب قد نفعته شفاعة النبى (ص) فخفف عنه العذاب وأخرج من غمرات النار إلى ضحضاح النار بشفاعة النبى (ص) فوجب أن يكون من أهل الكيائى ما عدا الكفر ووجب أن يخرج من النار لأنه صار من عصاة الأمة الذين هم فى الطبقة العليا وكل من كان كذلك يخرج ويدخل الجنة وهذا معنى قوله (ص) أرجو له من ربى كل خير.

(٥) رواه أحمد والبيهقى. والبهارى فى كتاب التوحيد.

وهذا الحديث أخرجه ابن سعد وابن عساکر عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه
سأل رسول الله (ص) ما ترجو لأبى طالب قال كل الخير أرجو من ربى^(٦).

ولا يرجى كل الخير إلا للمؤمن ولا يجوز أنه يراد بهذا ما حصل من تخفيف
العذاب فإنه ليس خيراً فضلاً عن أن يكون كل الخير وإنما هو تخفيف الشر وبعض
الشر أهون من بعض والخير كل الخير دخول الجنة.

وأخرج تمام الرازى فى فوائده بسند يعتد به فى المناقب عن ابن عمر قال. قال
رسول الله (ص) إذا كان يوم القيامة شفعت لأبى وأمى وعمى أبى طالب وأخ لى كان فى
الجاهلية.

أورده المحب الطبرى فى كتابه ذخائر العقبى فى مناقب ذوى القربى.

وأخرجه أبو نعيم وصرح بأن الأئخ كان من الرضاع.

قال البرزنجى، إن النار اسم للطبقات كلها وقد أخبر (ص) أن أبى طالب أخف
أهل النار عذاباً على الاطلاق وبين وجه ذلك بأن النار لا تمس إلا تحت قدميه.

فلا يجوز أن يكون كافراً لأن فى المؤمنين من صبح الأخبار عنهم فى ذنب واحد
من الغلول أو العقوق أو تعذيب الهرة أو التبخر بعذاب أكبر من هذا.

فقد جاء فىمن غل من الغنيمة شملة صغيرة أنها تلتهب عليه ناراً.

(٦) انظر طبقات ابن سعد باب ذكر أبى طالب وتاريخ دمشق لابن عساکر.

وفيمن غل يريده من صوف انه جعل له درع مثلها من نار وان من جاء بريئا من
الخلول دخل الجنة.

وجاء أن عقوق الوالدين من أكبر الكبائر^(٧).

وذكر فى بعض الأحاديث بعد الشرك بالله وفى القرآن «واعبدوا الله ولا تشركوا به
شيئا وبالوالدين إحسانا» وصح ثلاثة لا ينفع معهن عمل الشرك بالله وعقوق الوالدين
والفرار من الزحف^(٨).

وصح ايضا لا ينظر الله يوم القيامة لعاق والديه.

وصحت أحاديث كثيرة فى شدة عذاب العاق لوالديه وأنه آخر من يخرج من النار
من العصاة.

وصح دخلت امرأة النار فى هرة.

أى بسبب حبسها هرة.

وصحت أحاديث كثيرة فى النهى عن التبختر وشدة العذاب لمن تبختروا.

(٧) انظر البخارى ومسلم كتاب الأدب والبر والأنبياء واللباس والجهاد وكتب السنن الأخرى. وروى
مسلم عن الرسول (ص) قوله، اجتنبوا الموبقات السبع، الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس
التي حرم الله إلا بالحق وأكل مال اليتيم وأكل الربا والتولى يوم الزحف وقدف المحصنات
العافلات المؤمنات. كتاب الإيمان باب بيان الكبائر.

(٨) روى مسلم فى كتاب الإيمان عن الرسول قوله، «ألا أنباكم بأكبر الكبائر ثلاثة، الإشراك بالله
وعقوق الوالدين وشهادة الزور. باب بيان الكبائر.

ولو كان ابو طالب كافراً! لكان عذاب الكفر دون عذاب الكبائر مع أن عذاب الكفر فوق عذاب الكبائر قطعاً وهذا لاشك فيه فإن الكفر أكبر الكبائر ولا يخسر بخلاف بقية الكبائر ولو وجد مؤمن عاص أخف عذاباً من أبى طالب لزم الخلف فى قول الصادق (ص) حيث جعله أخف أهل النار عذاباً على الاطلاق.

فوجب أن يكون عذابه كعذاب عصاة المؤمنين بل يكون أخف العصاة عذاباً وهذا العذاب فى مقابلة كبيرة هى ترك النطق بالشهادة إن قلنا أنه لم ينطق بها وإن ترك النطق بها معصية من كبائر المعاصى وإن عذره فى ترك النطق بها لا يمنع من صحة الإيمان لكنه لا ينضى كون ذلك الترك معصية أو نطق بها ولم يسمعها النبى (ص) فلم يعتد بها فكانه ما نطق بها.

وذلك أن النبى (ص) حضر أبى طالب عند الموت وعنده أبو جهل وعبد الله بن أمية المخزومى.

فقال له النبى؛ أى عم قل لا إله إلا الله كلمة احراج لك بها عند الله. فقال أبو جهل وعبد الله بن أمية يا أبى طالب اترغب عن ملة عبد المطلب. فلم يزالا يردانه حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم به هو على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول لا إله إلا الله^(٩).

وفى رواية فلما رأى أبو طالب حرص رسول الله (ص) على إيمانه قال يا ابن أختى لولا مخافة قريش إنى إنما قتلها جزعاً من الموت لقلتها^(١٠).

وفى رواية لما تقارب من أبى طالب الموت نظر إليه العباس فرآه يحرك شفثيه --

(٩) انظر طبقات ابن سعد وسيرة ابن هشام ومسلم كتاب الإيمان باب اول الإيمان قول لا إله إلا الله.

(١٠) المرجعين السابقين وانظر مسلم.

فاصغى إليه بإذنه فسمع منه الشهادة فقال للنبي (ص): يا ابن أخى والله لقد قال أخى الكلمة التى أمرته بها.

ولم يصرح العباس بألفظ لا إله إلا الله لكونه لم يكن أسلم حينئذ.

فقال رسول الله لم أسمع^(١١).

وهذا معنى قولهم أنه (ص) لم يعتد بها فكأنه لم ينطق بها.

والمائلون بعدم نجاته لم يأخذوا بهذا الحديث لكون العباس شهد بها حال كفره قبل أن يسلم.

وبعضهم ضعف هذا الحديث.

فعلى تسليم عدم الاعتداد بنطقه هذا وإن الحديث ضعيف فنقول؛ هو كافر باعتبار أحكام الدنيا وأما عند الله فهو مؤمن ناج ممتلىء قلبه إيماناً بدليل ما تقدم عنه.

مما يدل على ذلك أنه يمكن أن عدم نطقه بحضور أبى جهل وعبدالله بن أمية حرصاً منه على بقاء الحفظ للنبي (ص) وصيائته من أذيتهم له بعد وفاته لأنه كان يرى أنه إذا أظهر لهم أنه على دينهم تبقى حرمة وتعظيمه عندهم بعد وفاته فلا ينال النبي (ص) منهم أذى.

(١١) انظر سيرة ابن هشام ج ٢ وفاة خديجة وأبى طالب.

وإذا كان هذا قصده كان معذوراً فتكون إجابته لهما بما أجابهم به مداراة لهما
لئلا ينفرهما خشية أن يؤذوا رسول الله (ص) بعد وفاته.

على أنه يمكن الجمع بين امتناعه ونطقه بأنه امتنع بحضورهما مداراة لهما فلما
انطلقاً وذهبا نطق بها وأصغى إليه العباس فسمعه ينطق بها.

ولهذا قال في الحديث السابق ما كلمهم به - يعنى أبا جهل ومن كان معه - ولم
يقبل آخر ما تكلم به مطلقاً فدل على أن قوله هو على ملة عبد المطلب دليل على أنه
على التوحيد لأن عبدالمطلب كان على التوحيد كبقية آبائه (ص) كما حقق ذلك الجلال
السيوطى وغيره في رسائل متعددة^(١٢).

فأبهم أبوطالب عليهم الجواب ليرضيهم ظاهراً وهو يعلم أن عبدالمطلب كان على
التوحيد.

وأخرج ابن عساکر عن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله (ص) يقول إذ
لأبى طالب عندي رجا سألها ببلالها.

والقائلون بعدم نجاته يقولون أن حديث البخارى ومسلم الذى فيه كان فى غمرات
من النار يدفع إيمانه وأن هذا شأن من مات على الكفر.

قال البرزنجى، قلنا ليس من شأن من مات على الكفر يكون فى الضحضاح من
النار بل شأنه أن يكون فى الدرك الأسفل من النار فقبول الشفاعة فيه حتى صار فى

(١٢) رسائل السيوطى طبع بيروت ومنها رسالة فى إيمان السيدة آمنة ورسالة فى أن أبوى المصطفى
فى الجنة.

ضحضاح دليل على عدم كفره إذ لا تقبل فى الكافر شفاعة الشافعين.

وقوله (ص) لولا انا كان فى الدرك الأسفل من النار . معناه لولا أن الله هداه بى للإيمان مات كافراً وكان فى الدرك الأسفل من النار فهو نظير قوله (ص) فى ولد اليهودى الذى زاره فى مرضه وعرض عليه الإسلام فأسلم ومات، الحمد لله الذى أنقذه بى من النار.

وحينئذ ظهر لنا معنى لطيف فى هذا الحديث الآخر الذى كان فى غمرات من النار فشفعت له فأخرج إلى ضحضاح منها وهو أن المعنى كان مشرفاً على دخول الغمرات حيث أبى أن يشهد ثم تشفعت فيه فهده الله للإيمان.

ولا ينافى هذا قوله انا لم اسمع لجواز أن الله أخبره بعد ذلك.

وقوله تعالى «إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ» [القصص، ٥٦].

وإن نزلت فى أبى طالب فنزولها فيه لا ينافى أن الله هو الذى هداه بعد أن أيس النبى منه (١٢).

وأخرج ابن سعد وابن عساکر عن على رضى الله عنه قال: أخبرت النبى (ص) بموت أبى طالب فبكى وقال اذهب فغسله وكفنه واره غضر الله له ورحمه ففعلت.

وإنما ترك النبى (ص) المشى فى جنازته اتقاء من شر سفهاء قريش وعدم صلاته لعدم مشروعية صلاة الجنازة يومئذ.

(١٢) هذا على فرض التسليم بسبب النزول.

وقد ذكر اهل السير انه لما مات ابو طالب نالت قريش من رسول الله (ص) من الأذى ما لم تكن تطمع فيه فى حياة ابي طالب حتى اعترضه سفیه من سفهاء قريش فنثر على راسه ترابًا فدخل (ص) بيته والتراب على راسه.

فقامت إليه إحدى بناته فجعلت تزيل عنه التراب وهي تبكى.

ورسول الله (ص) يقول، لا تبكى يابنية فإن الله مانع اباك^(١٤).

وقال: ما نالت منى قريش شيئًا أكرهه حتى مات أبو طالب.

ويؤيد استعجال آذاهم له أنهم قاموا من عند ابي طالب مغضبين حاقدين على رسول الله حيث كان يكرر على ابي طالب النطق بالشهادتين.

ولما رأى رسول الله (ص) قريشًا تهجموا على أذيته قال ياعم ما أسرع ما وجدت فذلك.

وجاء فى رواية البيهقى أن علينا رضى الله عنه لما مات أبو طالب قال، يا رسول الله إن عمك الشيخ الضال قد مات.

قال، اذهب فواره. قلت، انه مات مشركًا.

قال، اذهب فواره.

(١٤) انظر سيرة ابن هشام ج ٢.

فلما وارىته رجعت إلى النبى (ص) فقال اغتسل^(١٥).

فقوله إن عمك الشيخ الضال قد مات مخالفاً للحديث السابق^(١٦).

وأجيب بأن هذا منظور فيه إلى ظاهر حاله فى الدنيا ولعل علياً رضى الله عنه قال ذلك بحضور سفهاء المشركين مداراة لهم فلا ينافى الحديث السابق المنظور فيه إلى باطن الحال وحقيقة نفس الأمر وهو إيمانه وتصديقه.

(١٥) رواه ابن سعد فى الطبقات ايضاً.

(١٦) تأمل تعبير الشيخ الضال وعلى لسان الإمام على تجده تفوح منه رائحة السياسة.

الباب الخامس: نجات أبي طالب

والحاصل انه يصح الاخبار عنه بالكفر بالنظر لظاهر الحال واحكام الدنيا فلا ينافي انه مؤمن باعتبار باطن الأمر وما عند الله بدليل البراهين السابقة الدالة على إيمانه وتصديقه.

قال البرزنجي : إن اعتمادنا في نجاته على المسلك الأول كافٍ في النجاة ولا نحتاج إلى غيره لكن ذكرناه زيادة تأكيد للمدعى.

وقد استدلل أيضا للنجاة بقوله تعالى «فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون» الأعراف / ١٥٧ .

وقد صدقه أبو طالب ونصره بما اشتهر وعلم ونايذ قريشا بسببه بما لا ينكره أحد من نقله الأخبار فيكون من المفلحين.

وقال القائلون بعدم النجاة إنه نصره لكنه لم يتبع النور الذي أنزل معه وهو الكتاب العزيز الداعي إلى التوحيد ولا يحصل الفلاح إلا بحصول ما رتب عليه من الصفات كلها.

قال البرزنجي، أقول إن أريد أصل النجاة من النار فهو إنما يترتب على الإيمان الذي هو التصديق عند المحققين وقد حصل له ذلك.

وإن أريد الفلاح التام فلا يلزم من عدمه حصول الكفر على أنا نقول قد اتبعه وأمر باتباعه لأن الظاهر من العواطف أي في قوله «آمنوا به واتبعوا» كما هو الأصل فيه أن الاتباع غير الإيمان.

وإذا كان غيره فيحمل الإيمان على التصديق وهو حاصل وإنما كان الاتباع فيما كان شرع حينئذ ولم يكن إلا التوحيد وصلته الأرحام وترك عبادة الأصنام.

كما مر عن أبي طالب أنه سأل النبي (ص) بم بعثت فأخبره أنه بعث بصلته الأرحام وأن يعبد الله ولا يعبد معه غيره.

ولم يكن في ذلك الوقت فرضت الصلاة ولا الزكاة ولا الصوم ولا الحج ولا الجهاد فلم يبق إلا قول لا إله إلا الله فإن اعتبر بما يؤدي التوحيد فقد مر أنه نطق بالوحدانية وبحقيقة الرسالة وتصديق النبي (ص) في أشعاره.

وإنما طلب النبي (ص) ذلك منه عند وفاته ليحوز إيمان الوفاة وإن لم يعتد به عند الموت فتكون تلك قرائن دالة على أنه مصدقا بقلبه وإنما امتنع من النطق به خشية أن ينسبوه إلى الجزع من الموت.

والخوف من الموت عندهم عار وقد كانوا عريقين في السيادة والمفاخرة بحيث لا يرضون أن ينسب إليهم أقل قليل مما يخالفها فلا يبعد أن يكون ذلك عندهم عذيمًا وذلك عذر.

وهذا بحسب ظاهر الأمر وأما في باطن الأمر فالسبب الحقيقي في عدم نطقه بحضور القوم المبالغة في المحافظة على حماية النبي (ص) ونصرتة تعلمه بأنه إذا نطق بذلك وعلموا أنه اتبع النبي لم يعتدوا بحمايته وجأهه عندهم بل يخضرون ذمته ويتنهبون حرمة ويبالغون في إيذاء النبي.

وقد كان أبو طالب حريصًا على أن يكون أمر النبي (ص) في دعوته الخلق إلى

الله تعالى باقياً بعد موته فلذلك كان محافظاً على بقاء حرمة في قلوب قريش فلو نطق بالشهادتين وعلموا ذلك منه فإنه يفوت غرضه من كمال النصرة والحماية.

ثم ذكر البرزنجي، احتمالات بسبب تعذيب أبي طالب مع عصاة المؤمنين غير النطق بالشهادتين.

فقال يحتمل ذلك لترك الصلاة التي كانت في أول الإسلام وهي ركعتان بالعادة وركعتان بالعشى فإن أبا طالب طلب منه صلاة تينك الصلاتين فامتنع.

وكذا التهجد الذي كان يفعله (ص) في أول الإسلام فيحتمل أن امتناعه من ذلك كراهة أن يعلم قريش أنه أتبع النبي فلا يقبلون حمايته ولا يعملون بها فيكون امتناعه من تلك الصلاة مبالغة في التعمية على قريش ومبالغة في حماية النبي (ص) ونصرتة فيكون ذلك عذراً لكنه لا يمنع كون الامتناع معصية يعاقب عليها.

وكان هو في الظاهر يعطل بغير ذلك فإنه لما طلب منه صلاة تلك الصلاة قال لا تعلموني أسى. فيكون ذلك الامتناع عناداً واستكباراً بحسب الظاهر فيعاقب عليه وإن كان مبالغة في التعمية على قريش ليوهمهم أنه معهم وعلى دينهم.

ويحتمل أن دخوله النار كان لبعض حقوق العباد التي كانت عليه بعد التبعة.

وقد ذكر البرزنجي في أول رسالته في مبحث نجاته الأيوبيين نجاته جميع الأبناء وأنهم كانوا على التوحيد.

ثم قال في مبحث نجاته أبي طالب لم ينقل عن أحد من أعمام النبي (ص) أنه قال

لم تسب آباءنا ونشتم آلهتنا وتسفه أحلامنا كما قالتة بضية قريش فلو عرفوا من آباؤهم ذلك لقالوا اترك ذكر آباؤك بسوء.

واما عداوة ابى لهب فكانت بسبب مصاهرة ابى سفيان فإن ابا لهب كان متزوجاً أخت ابى سفيان أم جميل وسميت فى الإسلام أم قبيح وهى حمالة الحطب فكان أبو لهب يهوى هواهم.

فالظاهر أن ابا طالب كان على ملة آباؤه ولو عبد ابو طالب صنماً يلزم أن يكون اول من اشرك من هذه السلسلة الطاهرة.

ولم يثبت بطريق ثابت ان ابا طالب اول من أحدث الشرك وعبادة الأصنام من هذا النسب الطاهر والسلسلة المباركة.

والأصل عدم ذلك فهو تبع لعبد المطلب فى كل احواله من مكارم الأخلاق وحماية الذمار والرياسة حتى خرج من الدنيا وهو على ملة عبدالمطلب.

وهذا هو الذى اشار إليه أبو طالب لما قال لكفار قريش هو على ملة عبدالمطلب فخاطبهم بكلام محمل صحيح يخرجهم عن الشك ويدخله فى زمرة الموحدين لما ستعمله من مناقب عبدالمطلب الدالة على أنه كان موحداً وعمى عليهم الأمر ليبقى جاهه وحمايته عندهم.

والحاصل إن الأحاديث التى فيها ذكر كفر أبى طالب ودخوله النار إنما هى بالنسبة للأحكام الدنيوية نظراً لظاهر الشرع وإن دخوله النار لأجل ترك التلطف

بالشهادتين أو لأجل ترك فرض من الفرائض أو لحق من حقوق العباد.

ولا يلزم من دخوله النار خلوده فيها وليس في تلك الأحاديث نص على أنه يدخل في النار وقد شفع النبي (ص) في جعله في ضحضاح ولو كان كافراً ما قبلت شفاعته فيه.

وصح أن أخف أهل النار عذاباً عصاة المؤمنين وأن أبا طالب أخف أهل النار عذاباً على الإطلاق فهو أخف حتى من عصاة المؤمنين.

وصح أن العصاة يخرجون من الجحيم وإن الريح تصفق أبوابها وينبت فيها الجرجير فيكون أبو طالب من المخرجين منها بل يكون أول المخرجين لأنه أخفهم عذاباً والكافرون ليسوا بمخرجين منها.

ثبت بهذه الأدلة أنه وإن عذب في النار لا بد له من الخروج منها ودخول الجنة إذ لا واسطة بين الجنة والنار.

ثم قال، فإن قلت أثبت العلماء له (ص) نوعاً من الشفاعة للكفار وجعلوا ذلك خصوصية لنبينا ومثلوا ذلك بشفاعته لأبي طالب وهي التخفيف من عذابه.

قلت هذا مبنى على أن أبا طالب كافر وقد أثبتنا إيمانه فهو أول الدعوى وقد أثبتنا أن شفاعته له باعتبار معصية من الكبائر ارتكبها فهو من أفراد قوله (ص) شفاعتي لأهل الكبائر.

وليس مستثنى من قوله تعالى «فَمَا تَلْعَمُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ» [المائدة: ٤٨] ولا مخصصاً

لعموم الآية فهى باقية على عمومها وليس عندهم مثال آخر يمثلون به لشفاعته لأحد من الكفار غير ابى طالب فإن كان لهم دليل آخر فليذكر حتى ينظر فيه.

نعم إن ارادوا الكفار فى ظاهر الشرع رجح الخلاف لفظيا ولو لم نحمل الكلام على هذا التحقيق يلزمهم ايضا أن قوله تعالى «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ» [النساء: ٤٨] مخصوص بغير ابى طالب ولا قائل به.

وقد تكلم، البرزنجى على الآيات التى فى القرآن التى قيل أنها نزلت فى ابى طالب.

كقوله تعالى «مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ» [التوبة: ١١٢] .

فقال إنى تبعت الأحاديث الواردة فى سبب نزولها فوجدتها منقسمة إلى ثلاثة أوجه،

الأول، أنها نزلت فى ابى طالب .

والثانى، أنها نزلت فى والدة النبى (ص).

والثالث، أنها نزلت فى آباء الناس الذين ماتوا فى الكفر كان اولادهم يستغفرون لهم.

أما الوجه الثانى، وهى أنها نزلت فى والدة النبى (ص) فهو ضعيف جدا.

وأما الوجه الأول، وهو كونها نزلت فى ابى طالب فهو اختصار من الرواة فى

الحديث فالصحيح أن سبب النزول هو الوجه الثالث.

ومما استدلل به على ذلك أن الآية نزلت بالمدينة والسورة مدنية نزلت بعد تبوك وموت ابي طالب كان بمكة قبل نزول الآية بنحو اثنى عشر سنة.

ثم رأينا أن علينا رضى الله عنه روى من طرق صحيحة رواها الإمام أحمد والترمذى والطيالسى وابن ابي شيبة والنسائى وأبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم وأبو الشيخ والحاكم وصححه ابن مردويه والبيهقى أن السبب فى نزولها استغفار ناس لأبائهم المشركين.

قال على رضى الله عنه سمعت رجلا يستغفر لأبويه وهما مشركان فقلت، استغفر لأبويك وهما مشركان.

فقال: أو لم يستغفر إبراهيم لأبيه. فنكرت للنبي (ص) فنزلت «ما كان للنبي والذين آمنوا» الآية فهذه الرواية صحيحة.

وقد وجدنا لها شاهداً برواية صحيحة من حديث ابن عباس رضى الله عنهما رواها ابن جرير وابن ابي حاتم عن ابن عباس رضى الله عنهما.

قال، كانوا يستغفرون لأبائهم حتى نزلت هذه الآية فلما نزلت أمسكوا عن الاستغفار لأموانهم ولم ينهوا أن يستغفروا للأحياء حتى يموتوا.

ثم أنزل الله «وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ» [التوبة، ١١٤] يعنى استغفر له ماكان حيناً فلما مات أمسك عن الاستغفار له.

وهذا شاهد صحيح فحيث كانت هذه الرواية أصح كان العمل بها أرجح فالأرجح أنها نزلت فى استغفار أناس لأبائهم المشركين لا فى أبى طالب.

ثم ذكر أنه يمكن الجمع بينها وبين الرواية التى فيها أنها نزلت فى أبى طالب مع حصول مصلوبنا لأن الرواية التى فيها أنها نزلت فى أبى طالب فيها اختصار حيث قال الراوى فى آخرها لاستغفرون لك ما لم إنه عنك فنزلت «ما كان للنبي» الآية.

ولم يقل فقال المسلمون إن رسول الله (ص) يستغفر لعمه نستغفرون لأبائنا فاستغفروا لأبائهم فنزلت فى حقهم الآية فحيث حذفت هذه الجملة ظن الراوى أنها نزلت فى أبى طالب ولو ذكرت هذه الجملة لقبل نزلت فى استغفار إناس فى آبائهم.

وبيان ذلك إن النبي (ص) لما عرض على أبى طالب أن يقول لا إله إلا الله بحضور أبى جهل وعبدالله بن أمية المخزومى فأبى أبو طالب فقال النبي، لاستغفرون لك ما لم أنه عنك.

فقال المسلمون: إن رسول الله يستغفر لعمه. نستغفرون لأبائنا فاستغفروا لأبائهم فنزلت فى حقهم الآية فاختصر الراوى وحذف منه الجملة الأخيرة.

ومما يدل على هذا الجمع أنا وجدنا أحاديث يستفاد منها هذا الجمع.

منها: ما رواه ابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن محمد بن كعب القرظى قال لما مرض أبو طالب أتاه النبي (ص) فعرض عليه أن يقول لا إله إلا الله فأبى أبو طالب فقال النبي لأستغفرون لك ما لم أنه عنك.

فقال المسلمون: هذا محمد يستغفر لعمه وقد استغفر إبراهيم لأبيه فاستغفروا
لقراياتهم من المشركين.

فأنزل الله تعالى «ما كان للنبي والذين آمنوا» الآية.

ثم أنزل «وما كان استغفار إبراهيم لأبيه» الآية.

وروى ابن جرير من طريق شبل عن عمرو بن دينار أن النبي (ص) قال: استغفر
إبراهيم لأبيه وهو مشرك فلا يزال استغفر لأبي طالب حتى ينهاني عنه ربي.

فقال أصحابه: نستغفرون لأبائنا كما استغفر النبي لعمه.

فأنزل الله «ما كان للنبي» الآية.

فظهر بهذه الأخبار أن الآية نزلت في استغفار المسلمين لأقاربهم المشركين فظهر
أن في الرواية التي فيها أنها نزلت في أبي طالب اختصاراً وحذفاً بسببه حصل الاشتباه
حتى ظن أنها نزلت في أبي طالب وليس الأمر كذلك.

ومما يؤيد أن هذا الجمع متعين أن السورة كلها مدنية نزلت بعد تبوك وبينها
وبين موت أبي طالب نحو من اثنتي عشرة سنة.

وانضم إلى ذلك حديث على السابق الصحيح وما انضم من الشواهد وكون الآية
مدنية فلا ينبغي إلغاء تلك الشواهد وترجيح أنها نزلت في أبي طالب وإن كان مذكوراً

فى البخارى ومسلم إذ قد يرجح حديث غير البخارى ومسلم لأمر تقتضى ذلك.

وقد صرحوا بذلك فى أصول الحديث فقولهم يقدم حديث البخارى ومسلم او احدهما ليس على اطلاقه.

ومما يؤيد هذا الجمع ان المراد من ابى إبراهيم عمه كما حققنا ذلك فى نجاة الأبوين^(١).

واجمع على ذلك اهل الكتابين التوراة والإنجيل.

وعم إبراهيم وهو آزر كان يتخذ اصناماً آلهة كما حكى الله عنه وكان يقول لإبراهيم «أراغب أنت عن آلهتى يا إبراهيم» مريم / ٤٦ .

ولم ينقل عن ابى طالب بطريق صحيح أنه اتخذ صنماً إلهاً او عبد حجراً او نهى النبى (ص) عن عبادة ربه غايته أنه ترك النطق بالشهادتين او ترك بعض الواجبات ومع ذلك قلبه مشحون بتصديق النبى.

ومثل هذا ناج فى الآخرة على مقتضى ديننا فلا يليق بالحكمة ولا بمحاسن الشريعة الغراء ولا بقواعد الأئمة من اهل الكلام ان يكون هو وآزر عم إبراهيم فى قرن واحد حاشا من كرم الله تعالى.

قال حسان رضى الله عنه،

(١) أى فى رسالة نجاة الأبوين، عبدالله وآمنة، والكلام هنا للبرزنجى.

امن يهجو رسول منكم ويهدجه وينصره سواء

فإن أبا طالب ربه صغيراً وآواه كبيراً ونصره ووقره وذبح عنه ومدحه بقصائد
غمر ورضى باتباعه.

وليس في حديث عمرو بن دينار المار أنفاً دلالة على شركة في قوله: استغفر
إبراهيم لأبيه وهو مشرك. فلا أزال استغفر لأبي طالب. بل يمكن أن معناه أن إبراهيم
استغفر لأبيه مع شركة فكيف لا استغفر أنا لأبي طالب مع أن خطيئته دون الشرك فلا
أزال استغفر له حتى ينهاني ربي ولم يمه بل نهى عن الاستغفار للمشركين لا لخصوص
عمه.

فلو كان كذلك لقل ان يستغفروا للمشركين وأن يستغفر النبي لعمه ولم يقل
كذلك.

ويصرح بهذا ما أورده في الدر المنثور من طريق ابن جرير عن قتادة أن رجلاً من
أصحاب رسول الله (ص) سألوه عن الاستغفار لأبائهم.

فقال: والله إنى لا استغفر لأبي كما استغفر إبراهيم لأبيه.

فأنزل الله «ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين» الآية.

فقال النبي (ص): إنى أوحى إلى كلمات قد دخلن في أذني ووقرن في قلبي أمرت

أن لا استغفر لمن مات مشركا.

فكونه (ص) قال إنى لأستغفر لأبى يعنى لعمى ثم لم يقل امرت ان لا استغفر له بل قال لمن مات مشركا جواب لسؤال أصحابه مع الإشارة الخفية إلى ان عمه لم يكن مشركا فدلت أحاديث شفاعته (ص) على أنه يشفع فيمن فى قلبه أدنى أدنى من مثقال حبة من إيمان وهذه الإشارة الخفية كانت تقع منه (ص) حرصا على الصدق وان لا يقع فى كلامه لفظ مخالف للواقع فإنه معصوم من الكذب وهو منه مستحيل فيأتى بلطف عام فيه إشارة خفية فيحصل بذلك جواب السائل ويرضى به وتطيب به نفسه.

ومن ذلك ما رواه ابن ماجه عن ابن عمر ما قال جاء إعرابى إلى النبى (ص) فقال إن أبى كان يصل الرحم وكان وكان فأين هو ؟ .

قال فى النار.

فكانه وجد من ذلك فقال الرجل أين أبوك أنت؟.

فقال حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار.

فاسلم الأعرابى وقال لقد كلفتنى رسول الله (ص) شططا ما مررت بقبر كافر إلا بشرته بالنار. فاجمل رسول الله (ص) الجواب بقوله: حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار. جريا على عادته إذا سأله أعرابى وخاف من إفساح الجواب له فتنته واضطرب قلبه. أجاب بجواب فيه تورية وإيهام مع تحرى الصدق.

فهنا لم يوضح له بحقيقة الحال ومخالفة حكم ابيه لأبيه فى المحل الذى هو فيه خشية ارتداده.

لما جلبت عليه النفوس من كراهية الاستيثار عليها ولما كانت عليه العرب من الجفاء وغلظ القلوب فأورد له جوابًا موهما تطيينًا لقلبه فتعين الاعتماد على هذا اللفظ وتقديمه على غيره مما غيره الرواة بالمعنى.

كرواية مسلم أن رجلاً قال يا رسول الله أين أبى؟

قال فى النار.

فلما ولى دعاه. فقال، إن أبى وأباك فى النار^(٢).

فهذه الرواية منكرة وللعلماء فيها كلام كثير لخصه الزرقانى فى شرح المواهب قال، واحسن ما يقال فيها ان الرواة تصرفوا فيها واختلفت رواياتهم وأن الصواب كالرواية الأولى وهو حيثما مررت بقبر كافر. فهى فى غاية الاتقان يتبين بها ان اللفظ العام وهو حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار هو الصادر منه (ص).

فكان بعض الرواة فهم ان قوله حيثما مررت بقبر كافر شامل لأبى النبى وأنه كافر فغيره ورواه بالمعنى على حسب فهمه.

(٢) كتاب الإيمان باب بيان أن من مات على الكفر فهو فى النار.

وقال - اى الزرقانى - إن ابى وأباك فى النار وما تقدم من أن آزر عم إبراهيم وليس بأبيه هو القول الصحيح.

قال العلامة ابن حجر الهيتمى إن أهل الكتابين اجمعوا على أن آزر لم يكن ابا لإبراهيم حقيقة وإنما كان عمه وسماه الله فى القرآن ابا لأن العرب تسمى العم ابا.

وجزم بذلك الفخر الرازى وقال جاء فى القرآن تسمية العم ابا. «إِلَهُكَ وَإِلَهُ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ» [البقرة: ١٣٢] مع أن الكلام كان مع اولاد يعقوب وإسماعيل عم يعقوب^(٣).

وقد سبق الرازى إلى ذلك جماعة من السلف منهم ابن عباس ومجاهد وابن جرير والسدى قالوا ليس آزر ابا إبراهيم وإنما هو عمه لأن إبراهيم ابوه تارخ.

وممن وافق الرازى الماوردى من أئمة الشافعية.

وقال فى قوله تعالى «وتقلبك فى الساجدين» كما قال الرازى أن المراد تقلبه وتنقله من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الزكية وهذا وجه من وجوه تفسير الآية وليس مراده الحصر فى هذا الوجه ولكن هذا الوجه هو الأولى بالقبول.

فقد أخرج ابن سعد والبزار والطبرانى وأبو نعيم عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى، «وتقلبك فى الساجدين» قال من نبى إلى نبى ومن نبى إلى نبى حتى اخرجتك نبيا ففسر تقلبه فى الساجدين بتنقله فى أصلاب الأنبياء ولو مع الوسائط.

(٣) انظر تفسير الفخر الرازى سورة البقرة آية رقم ١٣٢ وانظر اسرار التنزيل.

وحمل الآية على أعم منهم وهم المصلون الذين لم يزالوا فى ذرية إبراهيم أوضح
ليشمل غير الأنبياء.

فقد أخرج ابن المنذر عن ابن جريج فى قوله تعالى «رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن
ذريتى» [ال، *] قال فلا تزال من ذرية إبراهيم ناس على الفطرة يعبدون الله تعالى.

وعن ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد فى قوله تعالى «وجعلها كلمة باقية فى
عقبه» الزخرف / ٢٨ أنها لا إله إلا الله باقية فى عقب إبراهيم عليه السلام.

وعن قتادة فى الآية هى شهادة أن لا إله إلا الله والتوحيد لا يزال فى ذريته من
يقولها من بعده.

وقد صح من طرق صحيحة أن الأرض لم تخل من سبعة مسلمين فمن ذلك ما
أخرجه عبدالرزاق وابن المنذر بسند صحيح على شرط الشيخين عن على رضى الله
عنه قال لا يزال على وجه الأرض سبعة مسلمون فصاعدا ولولا ذلك لهلكت الأرض ومن
عليها.

وأخرج الإمام أحمد فى الزهد بسند صحيح على شرط الشيخين عن ابن عباس
رضى الله عنهما قال ما خلقت الأرض من بعد نوح من سبعة يدفع الله بهم عن أهل
الأرض.

وأخرج البخارى حديث بعثت من خير قرون بنى آدم قرنا فقرنا حتى بعثت من

القرن الذى كنت فيه والآية هى شهادة أن لا إله إلا الله والتوحيد لا يزال فى ذريته من يقولها من بعده .

وقد صح من طرق صحيحة أن الأرض لم تخل من سبعة مسلمين .

فمن ذلك ما أخرجه عبدالرزاق وابن المنذر بسند صحيح على شرط الشيخين عن على بن رضى الله عنه قال لا يزال على وجه الأرض سبعة مسلمين فمن ذلك ما أخرجه عبدالرزاق وابن المنذر بسند صحيح على شرط مسلمون فصاعداً ولولا لهلكت الأرض ومن عليها .

وأخرج أحمد فى الزهد بسند صحيح على شرط الشيخين عن ابن عباس رضى الله عنهما قال ما خلت الأرض من بعد نوح من سبعة يدفع الله بهم عن أهل الأرض .

وأخرج البخارى حديث بعثت من خير قرون بنى آدم قرناً فقرنا حتى بعثت من القرن الذى كنت فيه فإذا قرنت بين هاتين المقدمتين أعلى بعثت من خير قرون بنى آدم . الخ . وأن الأرض لم تخل من سبعة مسلمين . الخ . انتهى ما قاله الإمام الرازى من أن آباءهم كلهم موحدون لأنه إن كان كل جد من أجداده من جملة السبعة المذكورين فى زمانهم فففيه المدعى .

وإن كانوا غيرهم فإما أن يكونوا على الحنفية ملة إبراهيم عليه السلام فهو المدعى أيضاً .

وإما أن يكونوا على الشرك فيلزم أحد أمرين :

إما إن يكون غيرهم خيراً منهم وهو باطل لمخالفته الحديث الصحيح من أنهم من خير قرون بنى آدم قرنا فقرنا.

وإما أن يكونوا خيراً وهم على الشرك وهو باطل بالإجماع.

قال تعالى «ولمجد مؤمن خير من مشرك» فثبت أنهم على التوحيد فيكونوا خير أهل الأرض فى زمانهم.

وقد ذكر البرزنجى والسيوطى وغيرهم ممن الفوا فى نجاه آباء النبى (ص) وأمهاتهم وفى أنهم كلهم على التوحيد دلائل وبراهين على ذلك وافردوا كل أحد من الأبناء بترجمة.

وقد صح فى احاديث كثيرة انه (ص) قال: لم ازل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات.

وفى رواية، لم يزل الله ينقلنى من الأصلاب الحسينية إلى الأرحام الطاهرة.

وعلى هذا حمل بعضهم قوله تعالى «وَتَقَبَّلَكَ فِي السَّاجِدِينَ» [الشعراء، ٢١٩].

وقوله (ص) من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات فأباء النبى وأمهاته إلى آدم وحواء ليس فيهم كافر لأن الكافر لا يوصف بأنه طاهر.

وإلى هذا أشار صاحب الهمزية حيث قال،

لم تزل فى ضمائر الكون تختار لسك الأمهات والأبناء

وقال رسول الله (ص) ما ولدت من بغى قط منذ خرجت من صلب آدم ولم تزل
تتنازعنى الأمم كاهراً عن كاهر حتى خرجت من أفضل حين من العرب هاشم وزهرة^(٤).

وحيث أن ابا طالب قال هو على ملة عبدالمطلب فلنذكر بعض ما ذكروه فى
عبدالمطلب لتعلم علماً يقيناً أنه كان على التوحيد.

فما ذكروه فى عبدالمطلب أنه نشأ على أكمل الصفات وانتهت إليه الرياسة بعد
عمه المطلب وكان ينسب أولاده بترك الظلم والىبغى ويحثهم على مكارم الأخلاق وينهاهم
عن ذنوب الأسيور.

وكان يقول لمن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم الله منه وتصيبه عقوبة إلى أن
هناك رجل ظلوم من أرض الشام ولم تصبه عقوبة فقيل لعبدالمطلب فى ذلك؟

فذكر وقال، والله إن وراء هذه الدار داراً يجزى فيها المحسن بإحسانه ويعاقب
المسيء بإسائه أى فالظلم شأنه أن تصيبه عقوبة فإن أخرج من الدنيا لم تصبه عقوبة
فهي معدة له فى الآخرة^(٥).

(٤) روى ابو نعيم فى دلائل النبوة عن الرسول (ص) قوله، لم يلتق أبواى قط فى سفاح ولم يزل الله
ينقلنى من الاصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة صافياً مهذباً لا تشعب شعبتان إلا كنت فى
خيرهما.

ويروى ابن سعد فى الطبقات ج ١/ عن الرسول قوله، والله ما افترق فرقتان منذ خلق الله آدم
إلا كنت فى خيرهما.

وانظر دلائل النبوة للبيهقى.

(٥) المال والنحل للشهرستانى هامش الفصل فى المال والنحل ج ٣/ ٢٢٥.

فهذا إيمان منه باليوم الآخر علمه بالفراسة الصادقة وهي نور الهى يقع في القلب وكان عبدالمطلب يرفض عبادة الأصنام ويعترف بوحدانية الله تعالى ولم تكن شريعة مشروعة في زمنه فلهذا كانت عبادته التفر في آلاء الله ومصنوعاته وصلة الأرحام واصطناع المعروف والاتصاف بمكارم الأخلاق.

وكان يختل كثيرا بغار حراء ليجتمع فكره وقلبه في الاستغراق في التفكير في صفات الله وأفعاله الدالة عليه وورد عنه في السنة أشياء كان متصفا بها ويامر الناس بفعالها.

منها الوفاء بالنذر والمنع من نكاح المحارم وقطع يد السارق وانتهى عن قتل المؤودة وتحريم الخمر والزنا وأن لا يطوف بالبيت عريانا.

وهو أول من جعل الدية مائة من الإبل فجاء الشرع مؤيدا ذلك ومقرا.

وكان لطيب ريحه يفوح منه رائحة المسك وكان نور النبي يضيء في غرته.

وفيه يقول القائل:

علا شيبة الحمد الذي كان وجهه يضيء ظلام الليل كالقمر البدر

وكانت قريش إذا أصابها قحط شديد تأتي عبدالمطلب فتستسقى به فيسقون ولما جاء أصحاب الفيل ليهدموا الكعبة هلكوا بدعائه عند البيت المعظم.

ومما نقل عنه في ذلك اليوم:

لاهم إن العبد يمنع رحله فامنع رحالك
وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك

وقال أيضا:

يارب لا أرجو لهم سواكا يارب فامنع عنهم حماكا
إن عدو البيت قد عاداكا فامنعهمو أن يخربوا قراكا

واخذ أصحاب الفيل له ذودا من الإبل فذهب إلى أبرهة رئيسهم يسأله اطلاق
إبله فعظمه وأجلسه معه على سريريه فلما سأله اطلاق إبله.

قال له أبرهة سقطت من عيني جئت لأهدم البيت الذى هو دينك ودين آبائك
فألهاك عنه ذود اخذ منك.

فقال أنا رب الإبل ولبيت رب يمتعه.

وقال يا معشر قريش لا يصل إلى هدم البيت لأن لهذا البيت ربنا يحميه فأرسل
الله عليهم طيرا أبابيل فأهلكهم^(٦).

وكان لعبدالمطلب إبل كثيرة يجمعها فى الموسم ويسقى لبنها بالعسل فى حوض
من آدم عند زمزم ويشترى الزبيب فينقعه بماء زمزم ويسقيه الحاج.

ولما توفى عبدالمطلب قام بالسقاية أبو طالب ثم بعده العباس^(٧).

(٦) انظر قصة أصحاب الفيل فى سيرة ابن هشام وطبقات ابن سعد وكتب التاريخ.

(٧) انظر المراجع السابقة باب وفاة أبو طالب.

ومن كلام عبد المطلب:

يارب انت الملك المحمود وانت ربى الملك المعبود
من عندك الطارف والتلبد

وكان عبد المطلب يكرم النبى (ص) ويعظمه وهو صغير ويقول إن لابنى هذا لشأنا
عظيماً^(٨).

وقد سمع من الكهان والرهبان شيئاً كثيراً فى شأن النبى قبل ولادته وبعدها^(٩).

وكان عبد المطلب رئيس قريش معظماً فيها وكانوا يفرشون له حول الكعبة فيجلس
ويجتمع حوله رؤساء قريش ولا يستطيع أحد أن يجلس على فراشه ولا أن يطأه بقدمه.

وكان النبى (ص) وهو صغير يزاحم الناس فيدخل حتى يجلس بجانب جده
عبد المطلب وربما جاء قبل جده عبد المطلب فيجلس على فراشه فإذا أراد أحد من
أعمامه أن يمنعه يزجره جده عبد المطلب ويقول دعوه إن له لشأنا ثم يجلس على فراشه
معه ويمسح ظهره ويسره ما يراه يصنع^(١٠).

وتوفى عبد المطلب وعمر النبى ثمان سنين فأوصى به إلى عمه أبى طالب وكان
شقيق أبية عبد الله وأمهما فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمر بن مخزوم.

(٨) ابن هشام وابن سعد باب ذكر عبد المطلب.

(٩) المرجعين السابقين وانظر كتب التاريخ.

(١٠) المرجعين السابقين.

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال سمعت ابنى العباس يقول كان لعبد المطالب مفرش فى الحجر يجلس عليه لا يجلس عليه غيره وكان حرب بن امية فمن دونه من عظماء قريش يجلسون حوله دون الفرش فجاء رسول الله يوماً وهو غلام فجلس على الفرش فجذبه رجل فبكى.

فقال عبدالمطلب : ما لابنى يبكى.

قالوا : اراد ان يجلس على الفرش فمنعوه.

فقال عبدالمطلب : دعوا ابنى يجلس عليه فإنه يحس من نفسه بشرف وارجو ان يبلغ من الشرف ما لم يبلغه عربى قبله ولا بعده.

فكانوا بعد ذلك لا يردونه عنه حتى حضر عبدالمطلب او غاب^(١١).

وفى رواية : دعوا ابنى انه ليؤتمن منكأ.

وفى رواية : فإنه تحدثه نفسه بملك عظيم وسيكون له شأن.

وكان عبدالمطلب من علماء قريش وحكمائها وكان سجاب الدعوة محرماً للخمر على نفسه وهو اول من تحنث بفار حراء والتحنث التعبد الليالى ذوات العدد.

وكان إذا دخل شهر رمضان صعده وأطعم المساكين وكان صعوده للتخلى عن

(١١) المرجعين السابقين.

الناس يتفكر في جلال الله وعظمته وكان يرفع من مائدته للطير والوحوش في رؤس الجبال..

وكان يقال له مطعم الطير.

ويقال له الفياض. ولد وفي راسه شيبة فقيل له شيبة الحمد رجاء انه يكبر ويشيخ ويكثر حمد الناس له.

وقد حقق الله ذلك فكثر حمدهم له لأنه كان مفرغ قريش في النواذب وملجأهم في الأمور وشريفتهم وسيدهم كمالاً وفعلاً عاش مائة وأربعين سنة وله مناقب كثيرة.

منها حضر بئر زمزم وكانت درست بعد إسماعيل فأمر في المنام بحضرها وأرشد في المنام إلى محلها وقصة ذلك طويلة منكرة في كتب السير^(١٢).

وفي السيرة الحلبية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله (ص) يبعث جدي عبدالمطلب يوم القيامة في زى الملوك وابهة الإشراف.

قال البرزنجي، ويروى أن عبدالمطلب يعطى نور الأنبياء وجمال الملوك ويبعث أمة وحده. قال، لأنه كان على التوحيد.

وذلك كمنى أخبر عنه النبي (ص) من أمثاله كزيد بن عمرو بن نضيل وورقة ابن --

(١٢). انظر المرجعين السابقين قصة حضر زمزم.

نوقل انه يبعث امة وحده.

ومن يبعث امة وحده لا يبعد انه يعطى نور الأنبياء لأنه مستقل لا تابع.

واما كونه يعطى جمال الملوك فالأنه كان سيد قريش فى زمانه وهو ملحق بالملوك الذين عدلوا وما ظلموا.

وهذا له شاهد فيما رواه البيهقى وابو نعيم عن كعب الأحبار انه قال فى التوراة فى صفة امة محمد (ص) انهم فى القيامة يعطون نور الأنبياء^(١٢).

وبالجملة فمن وقف على ما ذكره العلماء فى ترجمته علم علما يقينا انه كان على التوحيد وهكذا بقية آبائه إلى آدم عليه السلام.

وبهذا يعلم أن قول ابى طالب هو على ملة عبدالمطلب إشارة إلى أنه على التوحيد ومكارم الأخلاق ولو لم يصدر من ابى طالب من الإشارات الدالة على التوحيد إلا قوله وهو على ملة عبدالمطلب لكان ذلك كافيا.

فله دره من لبيب حاذق وهذا المسلك الذى سلكه العلامة السيد محمد بن رسول البرزنجى فى نجاة ابى طالب لم يسبقه إليه أحد فجزاه الله أفضل الجزاء ومسلكه هذا الذى سلكه يرتضيه كل من كان متصفاً بالإنصاف من اهل الإيمان لأنه ليس فيه إبطال شيء من النصوص ولا تضعيف لها وغاية ما فيه إنه حملها على معان مستحسنة يزول بها الأشكال ويرتفع الجدال ويحصل بذلك قررة عين النبى (ص) والسلامة من الوقوع فى تنقيص ابى طالب او بغضه فإن ذلك يؤذى النبى.

(١٢) انظر دلائل النبوة لأبى نعيم والبيهقى.

وقد قال الله تعالى «إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا» [الأحزاب، ٥٧] .

وقال تعالى «والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم» .

وقد ذكر أحمد بن الحسين الموصلى الحنفى المشهور بابن وحشى فى شرحه على الكتاب المسمى بشهاب الأخبار للعلامة محمد بن سلامة القضاعى المتوفى سنة ٤٥٤هـ إن بغض ابي طالب كفر ونص على ذلك ايضا من أئمة المالكية العلامة على الأجهورى فى فتاويه والتلمسانى فى حاشيته على الشفاء فقال عند ذكر ابي طالب لا ينبغى أن يذكر إلا بحماية النبى (ص) لأنه حماه ونصره بقوله وفعله وفى ذكره بمكروه اذية للنبي وكفر والكافر يقتل.

وقال أبو الطاهر من أبغض ابا طالب فهو كافر.

والحاصل أن إيذاء النبى (ص) كفر يقتل فاعله إن لم يتب.

وعند المالكية يقتل وإن تاب.

وروى الطبرانى والبيهقى أن ابنة ابي لهب واسمها سبيعة وقيل درة قدمت المدينة مسلمة مهاجرة.

فقيل لها لا تغنى عنك هجرتك وانت بنت حطب النار فتأذت من ذلك فذكرته للنبي (ص) فاشتد غضبه ثم قام على المنبر.

فقال ما بال اقوام يؤذوننى فى نسبى وذوى رحمة فمن آذى نسبى وذوى رحمة.
فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله تعالى.

واخرج ابن عساکر عن على رضى الله عنه ان رسول الله (ص) قال من آذى
شجرة منى فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله تعالى.

فبغض ابى طالب والتكلم فيه يؤذى رسول الله (ص) ويؤذى اولاده الموجودين فى
كل عصر.

وقد قال (ص) لا تؤذوا الأحياء بسبب الأموات.

ومما يؤيد هذا التحقيق الذى حقه العلامة البرزنجى فى نجاته ابى طالب ان
كثيراً من العلماء المحققين وكثيراً من الأولياء العارفين أرباب الكشف قالوا بنجاته ابى
طالب منهم القرطبى والسبكى والشعرانى وخلائق كثيرون وقالوا هذا الذى نعتقده
وندين الله به وإن كان ثبوت ذلك عندهم بطريق غير الطريق الذى سلكه البرزنجى فقد
اتفق معهم على القول بنجاته.

فقول هؤلاء الأئمة بنجاته اسلم للعبد عند الله تعالى لا سيما مع قيام هذه
الدلائل والبراهين التى اثبتتها العلامة البرزنجى.

ومما استدل به القائلون بعدم نجاته ان عم النبى (ص) لم يورث منه جعفرًا ولا
عليًا لاختلاف الدين.

بواجاب البرزنجى عن ذلك بوجه.

عنها، ان الميراث فى وقت موت ابي طالب لم يقرض واقما كان الامر بالوصية فقد يكون ابو طالب اوصى بماله لعقيل فإنه كان يحبه كثيرا ويحتمل على تسليم ان عقيل لاخذ ذلك ميراثا ان النبي (ص) إنما سكت معاملة لأبي طالب وعقيل بحسب ظاهر الأمر من الكفر بحسب احكام الدنيا.

قيل إن مما نزل فى ابي طالب «إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ» [البقرة: ١٢٩] وهذا القول ضعيف جدا كالقول بانها نزلت فى ابى النبي (ص) فإن ذلك ضعيف ايضا. بل قيل ان ذلك باطل لا اصل له والآية إنما نزلت فى اليهود.

قال ابو حيان فى البحر، وهو يبيّن الآيات والنواحيها: تبدل على ذلك اى فإن الجميع نزل فى اليهود بخلاف ذلك يوجب تشكيك تنظيم الآيات وذهاب جزالتها كما اشار إلى ذلك المولى ابو السعود فى تفسيره^(١٤).

وقد ذكر البرزنجى احدى كثيرة نزل على نجاته ابي طالب ثم قال وإن كان بعضها ضعيفا لكن لكثرتها يقوى بعضها بعضا لا سيما وأكثرها صحيح لا ضعف فيه.

فمن الصحيح ما أخرجه ابن سعد وابن عساکر عن على رضى الله عنه قال اخبرت رسول الله (ص) بموت ابي طالب فبكى وقال اذهب ففسله وكفنه وواره غفر الله له ورحمه.

(١٤) تفسير البحر المحيط سورة البقرة آية رقم ١٢٩. وانظر تفسير ابو السعود.

وفى السيرة الحلبية أن هذا الحديث أخرجه أيضا أبو داود والنسائي وابن الجارود وابن خزيمة عن علي رضي الله عنه قال لما مات أبو طالب أخبرت النبي (ص) بموته فهكى وقال اذهب فغسله وكفنه وواره غفر الله له ورحمه.

ثم قال البرزنجي: على أن اعتمدنا على المسلك الأول الكافي فى النجاة ولا نحتاج إلى هذا ولكنه زيادة تأكيد فى المدعى.

ومن الأحاديث التى ذكرها فى الشفاعة ما رواه أحمد والطبراني والبخاري عن معاذ ابن جبل وأبي موسى قالوا: قال رسول الله (ص): إن ربي خيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة أو شفاعة فاخترت لهم الشفاعة وعلمت أنها أوسع لهم وهي لمن مات لا يشرك بالله شيئا.

وروى أحمد وابن أبي شيبة والطبراني عن أبي موسى قال: قال رسول الله (ص): إنى اخترت شفاعةى وجعلتها لمن مات من أمتي لا يشرك بالله شيئا.

وفى رواية لأبي يعلى وأبي نعيم عن أبي ذر رضي الله عنه - وهي نائلة منهم إن شاء الله تعالى - من لم يشرك بالله شيئا.

وفى رواية عن عوف بن مالك عن رسول الله (ص) سألت الله أن لا يلقاه عبد من أمتي يوحد إلا أدخله الله الجنة.

وأخرج مسلم عن عبد الله بن عمر إن رسول الله (ص) تلا قول إبراهيم «فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» [إبراهيم، ٣٦].

وقول عيسى « إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم »
المائدة/ ١١٨ فرفع يديه وقال أمتى أمتى ثم بكى.

فقال الله، يا جبريل اذهب إلى محمد فقل له إنا سنرضيك فى امتك ولا
نسوءك (١٥).

وروى البزار والطبرانى عن على كرم الله وجهه عن رسول الله (ص) فقال: أشفع
لامتى حتى ينادينى ربى أرضيت يا محمد فأقول أى رب رضيت.

وروى الطبرانى فى الأوسط بسند حسن عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه
قال، قال رسول الله (ص): إنى أخرت شفاعتى لأمتى وهى بالغة إن شاء الله من مات لا
يشرك بالله شيئاً.

قال البرزنجى فانظر هذه الأحاديث فإنها كلها تدل على أن الشفاعة لا تنال
مشركاً وقد نالت الشفاعة أبى طالب بنص الحديث الصحيح ونعلم قطعاً أنه كان يصدق
بنبوة النبى (ص) وصدقه وحقية دينه وكفى بالظاهر دليلاً.

فلا بد من القول بنجاته ولا منافاة بينها وبين الأحاديث التى فيها ذكر كفره
ودخوله النار لما تقدم أن الحكم بكفره إنما هو بالنسبة للأحكام الدنيوية نظراً لظاهر
الشرع وأن دخوله النار لأجل ترك فرض من الفرائض وهذا لا يلزم منه خلوده فى النار
وليس هناك نص على أنه مخلد فى النار مع ما مر فى بيان سبب نزول النهى عن ----

(١٥) كتاب الإيمان، باب دعاء النبى (ص) لأمنه وبكائه.

الاستغفار من الجمع ولله الحمد.

وتقدم إن قوله تعالى «إني لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء» لا يمنع من إيمانه فإنها إنما دلت على أنك لا تهديه ولكن الله يهدي من يشاء فنقول أن الله هداه.

وتقدم أن العباس لما أخبر النبي (ص) بإياته أتى بالشهادة قال له ألم أسمعك إنما قال له ذلك نظراً إلى ظاهر الحال وذلك لا يمنع أن الله أطلعه على إيمانه ولذلك قال كل الخير أرجو من ربى.

وقد صح أن العباس سأل رسول الله (ص) فقال: يا رسول الله أترجو لأبى طالب خيراً. قال، كل الخير أرجو من ربى.

وهذا الحديث رواه ابن سعد فى الطبقات بسند صحيح ورجاؤه (ص) محقق ولا يرجو كل الخير إلا للمؤمن ولا يجوز أن يراد بهذا ما حصل له من تخفيف العذاب فإنه ليس خيراً فضلاً عن أن يكون كل الخير وإنما تخفيف العذاب تخفيف الشر وبعض الشر أهون من بعض وحصول كل الخير إنما يكون بدخول الجنة.

قال بعض العارفين أنه ثبت عند أهل الكشف إيمان أبى طالب ثبوتاً لا شك فيه ولعل السبب فى أن الله أبهم أمره بحسب ظاهر الشرع لتطبيب قلوب أصحاب النبي (ص) الذين كان آباؤهم كافرين لأنه لو صرح لهم بإيمان أبى طالب وهم يرونه كافرين بحسب الظاهر مثل آباءهم تنفر قلوبهم وتنوع صدورهم ويقولون إنه لا فرق بينه وبين آباؤنا.

فكيف يكون ناجيا وهم معذبون؟

وهذا يكون منهم بحسب ما تقتضيه الطبيعة البشرية فإنها تنفر من استئثار غيرها عليها كما تقدم نظير ذلك فى الذى قال ابن ابى.

ولو اظهر ابو طالب إيمانه لفات ما قصده من نصرة النبى (ص) وحمائته ثم فى ذلك لله تعالى حكم كثيرة لا اطلاع لنا عليها فيجب علينا التسليم لأمر الله تعالى والانقياد لحكمه والرضا به وحفظ الأدب مع رسول الله (ص) واهل بيته وتحسين الظن بهم حتى لا يطالبنا احد منهم بظلامه ونسال الله تعالى التوفيق.

هذا خلاصة ما لخصته من الغائمة التى ذيل بها العلامة السيد محمد بن رسول البرزنجى رسالته التى ألفها فى نجاته الأبوين مع ما ضمته إلى ذلك مما وجدته فى المواهب والسيرة الحلبية وغيرهما من الكتب المعتمدة المرضية.

قال العلامة البرزنجى فى آخر الغائمة التى هى آخر رسالته لما اكملت تسويده فى أوائل شهر الله الحرام ذى القعدة من شهر سنة ألف وثمانون بالمدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى السلام فى منزلى بالزقاق المشهور بزقاق البدور وهو داخل السور أرسلت به إلى بعض خدام الحرم الشريف ممن له قدم فى طريق الله تعالى وله اذكار وأوراد وله سلوك وهو متوسم بالصلاح ليدخله الحجرة الشريفة تحت أستار كسوة القبر المعظم فإنه هديته (ص).

فإن وقع فى حيز القبول بيضته وإلا ضيعته قبل أن تنتشر منه النسخ، فادخله

تحت واستمر فيه ليلتين ثم رده إلى وبشرني بأنه وقع في حيز القبول من حضرة الرسول وشفعه في جميع القروع فحمدت الله على ذلك وبيضته بعون الملك المالك فالحمد لله على ما أنعم وألهم ثم له الحمد على أنه كما بدأ نعم حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه حمداً يوفى نعمه ويكافئه مزيده كما ينبغي لجلال وجهه وعظمة سلطانه حمداً يستوجب المزيد الموعود بقوله تعالى «لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ» [إبراهيم، ٧].

واكمل الصلاة والتسليم على المبعوث بالقرآن الحكيم والموصوف بالخلق العظيم المتعوت بأنه بالمؤمنين رؤف رحيم صلاة وسلاماً تجازيان عناه وتوازيان غناه وعلى آله وآبائه وأمهاته وأزواجه وذرياته وورثة علومه وعباداته وغفر الله لنا ولوالدينا وإخواننا قلبنا وصلينا ودينا ولجميع المسلمين والمسلمات.

«ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤف رحيم» الحشر / ١٠. «دَعَرَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَأَخْرَجُواهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» [يونس: ١٠].

هذا آخر ما في رسالة السيد محمد بن رسول البرزنجي المؤلفة في نجاته الأبوين المذيلة بالخاتمة التي في نجاته أبي طالب عم النبي (ص).

(قال المؤلف رحمه الله تعالى) وكان الفراغ من تسويد ذلك يوم السبت الثامن عشر من شهر شعبان المبارك سنة الف وثلاثمائة وثلاثة من هجرة النبي (ص).

ملاحق الكتاب

ملحق (١)

سؤال للشريف عبدالمطلب رحمه الله تعالى سنة ١٢٩٩هـ.

ما قولكم أيها العلماء الأعلام ومصاييح الضلال قمع الله بكم طعام اللثام ولثام الطعام فيمن انتدب ممن يزعم أنه من طلبة العلم لهدم قبر أبى طالب عم النبي (ص) زاعماً أنه من المناكر المجمع عليها فى بلد الله الحرام وكتب للحكام يدور به على العلماء وخلافهم من الأنام يحرضهم على أن يساعده على هدم قبر هذا الكافر بهذا اللفظ الشنيع ونحوه من الكلام غير مهال إلى ما يترتب على ذلك من بعث فتنة نائمة لعن الله من اقتضاها.

فإن كثيراً من أهل السنة والجماعة من بنى هاشم وغيرهم يعتقدون نجاته تبغاً لما جاء فى ذلك ولما نقله الجهابذة الفخام الحقيقيون بأن يتخذوا حجة للخلق لدى الملأ العلام وهم السبكي والقرطبي والشعراني رحمهم الله تعالى على الدوام أن الله أحيا أبى طالب وآمن بالمصطفى ومات مسلماً.

قال الإمام المحقق السجيمى بعد نقله ذلك وهذا هو الذى اعتقده والقى الله به فيكون هذا العذاب حصل له قبل إحيائه ويكون المراد بالقيامة قيامته وهى خروج روحه من جسده فياهل ترى هؤلاء العلماء جهلوا ما ورد فى حق أبى طالب من نصوص الشريعة فلم يسع هذا المنتدب المبعوض السكوت تقلداً لقدحه فى ادعائه الإجماع الذى زعمه مع ما فيه من أذية رسول الله (ص) وآله ومحبيه وهل جهله بذلك يكون عذراً له فيما تطلبه مما ليس يعنيه؟

وهل يجب على الحكام أيدهم الله تعالى زجر هذا المبعوض بما يليق به ويكون زاجراً له ولغيره عن الحركات الباعثة للفتن وتنافر قلوب المسلمين؟

فإن القائلين بنجاته أهل شوكة وشكيمة فى هذا البلد الأمين أفيدونا نصر الله بكم الإسلام وأناز بمصايحك حالك الظلام.

الجواب، والحمد لله رب العالمين رب زدنى علماً قال بعض المفسرين فى قوله تعالى «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى» الشورى / ٢٣ أى على تبليغ الرسالة أى أن تحفظوا قرابتي وتودونى وتصلوا رحمتى وذلك إنه لم يكن حى من قرىش إلا وفيهم له (ص) قرابة فكانه يقول إن لم تؤمنوا بى فاحفظوا قرابتي فيكم ولا تؤذونى ا هـ.

وقال تبارك وتعالى «إن الدين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيباً».

وفى شرح الشهاب لابن وحشى قال أبو الطاهر من أبغض أبى طالب فهو كافر بالله عز وجل.

وفى معروضات المفتى أبى السعود سؤال طالب علم ذكر عنده حديث نبوى. فقال: أكل أحاديث النبى (ص) صدق؟

فأجاب بأنه يكفر أولاً بسبب الاستفهام الإنكارى.

وثانياً بإلحاقه الشين بالنبى (ص) الدر المختار إذا تكلم بكلمة الكفر ولم يدر أنها كفر.

قال بعضهم لا يكون كفرةً ويعذر بالجهل.

وقال بعضهم يصير كافرًا بذلك تنقيح.

وقال فى المختار ينبغى أن يحفظ اللسان عما يجب الاحتراز عنه لقوله (ص)، من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت.

وعنه (ص) البلاء موكل بالمنطق اهـ.

وعليه فيلزم الولاية أيدهم الله تعالى أجراً ما يستحقه على ما صدر منه مما يسد باب الجراءة ويزجر أهل الجراءة والفساد كما قال تعالى «إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ» [المائدة، ٣٣] إلى آخر الآية والله سبحانه وتعالى اعلم.

ملحق (٢)

قتوى احمد بن عبدالله ميرغني مقتى الأحناف

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والسالكين
نهجهم بعده اللهم اسالك هداية للصواب.

اعلم رحمك الله تعالى ان ابا طالب عم النبي (ص) ادعى ان اهل السنة
والجماعة اتفقوا على عدم نجاته وتمسكوا في ذلك بظواهر من الكتاب والسنة.

ودعواهم اتفاق اهل السنة على عدم نجاته دعوى غير صحيحة فقد وجد كثير
من اهل السنة يقولون بنجاته منهم الإمام القرطبي والإمام السبكي والإمام الشعرائي
كما ذكره السائل في سؤاله فقد راجعت ما ذكره في شرح العلامة السجيمي على شرح
الشيخ عبدالسلام اللقاني على منظومة والده المسماة بجوهرة التوحيد في بحث
الشفاعة عند قول الناظم وواجب شفاعة المشفع فوجدته نقل عن القرطبي والسبكي
والشعرائي ان الله احيا ابا طالب وآمن بالمصطفى (ص) ثم مات مسلماً.

قال العلامة السجيمي وهذا الذي اعتقده وألقى الله عليه.

وذكر السجيمي قبيل قول الناظم ومنجز لمن أراد وعده ان ابن سعد وابن عساكر
رويا عن ابن عباس رضي الله عنهما انه سأل رسول الله (ص) ما ترجو لأبي طالب قال
كل الخير أرجو من ربي.

والإمام القرطبي والسبكي والشعرائي كل منهم من أكابر اهل السنة يحتج بقوله

وكذا العلامة السحيمى فبطلت دعوى من ادعى أن اهل السنة متفقون على عدم نجاته.

وثبت أنه يوجد من اهل السنة من يقول بنجاته وحيث وجد الاختلاف فاللائق الاحتياط وأقل المراتب التفويض إلى الله تعالى والسكوت والتوقف وعدم الخوض فى ذلك والاقتصار على قدر الضرورة فى ذكر الأحاديث الواردة فيه مع غاية الأدب والخوف لأن الاحتياط من الورع.

فقد قال (ص) دع ما يريبك إلى ما لا يريبك.

وقال (ص) اليس وقد قيل لما جاءه عقبه بن الحارث فقال، يا رسول الله تزوجت امرأة فجاءتنا امرأة سوداء. فقالت: قد أرضعتكما وهى كاذبة.

فقال (ص): كيف تصنع بها وقد زعمت انها أرضعتكما دعها عنك. اى طلقها.

فراجعت النبى (ص) وقلت يا رسول الله إنها امرأة سوداء اى فلا يقبل قولها.

فقال: اليس وقد قيل. فأرشده (ص) إلى طريق الورع والاحتياط وإن لم تقبل شهادة تلك المرأة.

وحيث قال جماعة من اهل السنة بإحياء ابى طالب وإيمانه ونجاته فالاحتياط عدم التعرض له بتنقيص لأن التعرض له لاسيما إذا كان بأفحش العبارات يؤذى النبى (ص) لأن ابا طالب ربي النبى وكان يحبه ويذنب عنه لما بعث.

ويؤذى ايضاً اقاربه (ص) الأحياء والأموات.

وقد قال تعالى «قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى».

وقد اخرج الديلمى عن ابى سعيد الخدرى أن رسول الله (ص) قال اشتد غضب الله على من آذانى فى قرابتى.

وروى الطبرانى والبيهقى أن بنت ابى لهب واسمها سبيعة وقيل درة قدمت المدينة مسلمة مهاجرة فقيل لها لا تغنى عنك هجرتك وأنت بنت حطب النار فتأذت من ذلك فذكرته للنبي (ص) فاشتد غضبه ثم قام على المنبر فقال، ما بال أقوام يؤذونى فى نسبى وذوى رحمى من آذى نسبى وذوى رحمى فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله تعالى.

وأخرج ابن عساکر عن على رضى الله عنه أن رسول الله (ص) قال من آذى شعرة منى فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله تعالى.

وروى الطبرانى والإمام أحمد والترمذى عن المغيرة ابن شعبه عن النبي (ص) أنه قال لا تؤذوا الأحياء بسبب الأموات.

ولاشك أن النطق بقبيح القول فى حق ابى طالب والتشدد به فى مجالس الخاصة والعامة وسفهاء الناس يؤذى أولاد على رضى الله عنه الموجودين الآن بل ويؤذى أمواتهم فى قبورهم.

ويؤذي النبي (ص).

فقد قال تعالى «والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم».

وقال تعالى «إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً».

وهذا هو ملحوظ من قال بكفر مبغض أبي طالب لأن فيه إيذاء للنبي وإيذاؤه (ص) كفر يقتل فاعله إن لم يتب.

وعند المالكية يقتل فاعله إن لم يتب وعندهم أيضاً يقتل وإن تاب.

وسأذكر لك نبذة من أخبار أبي طالب تعلم بها محبته للنبي (ص) وتعلم محبة النبي (ص) له وأنه يؤذيه بغضه وتعلم بها أن ماذهب إليه القرطبي والسبكي والشعراني والسحيمي له وجه وجيه.

فمن أخبار أبي طالب أنه ربي النبي (ص) أحسن التربية وكان يقدمه في البر على أولاده وشرح ذلك يطول ثم لما بعثه الله تعالى تعرض قريش لإيذائه فمنعهم أبو طالب.

وقال لهم إن ابن أخي في حمايتي فلم يستطيعوا أن يردوا حمايته فصار (ص) يدعو الناس إلى الله جهراً فلما هشت دعوته (ص) شق الأمر عليهم فاجتمعوا وجاءوا

إلى أبي طالب بعمارة بن الوليد.

وقالوا له خذ هذا بدل محمد ويكون كالابن لك وأعطنا محمداً لنقتله.

فقال ما أنصفتُموني يا معشر قريش آخذ ابنكم أربيه وأعطيكم ابني تقتلونه ثم

قال:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد في التراب دقينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة وأبشر بذالك وقر منك عيونا
ودعوتني وعلمت إنك ناصحى^(١) ولقد دعوت وكنت ثم أمينا
لولا الملامة أو حذار مسيبة لوجدتني سمحاً بذالك مبينا

ولما تزوج النبي (ص) خديجة بنت خويلد رضى الله عنها خطب أبو طالب وحضر

أبو بكر ورؤساء مضر.

فقال أبو طالب في خطبته الحمد لله الذى جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع

إسماعيل وضئضىء معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة يئته وسواس حرمة وجعل لنا بيتنا

محجوجا وحرماً آمناً وجعلنا الحكام على الناس ثم إن ابن أخى هذا محمد بن عبد الله

(١) كتب الشنوائى على شرح الفاكهى عند قول أبى طالب ودعوتنى وعلمت الخ ما نصه هو مات

كافرا وهو عم النبي (ص) بخلاف أبويه (ص) فانهما ماتا مؤمنين لكن نقل الشيخ البراوى عن

الشيخ السعجنى عن غيره أن الله احيا ابا طالب وآمن به واماته ثانيا مؤمنا ودخل الجنة وقال

البراوى من كان يحب النبي (ص) وآله وأصحابه وأتباعه فليعتقد ذلك ونقل ما تقدم من إحيائه

واماته ثانيا مسلما عن أربعة عشر صحابيا وهو من خصوصيات أبى طالب وهذا لا يناهى

الأخبار الواردة بموته كافرا لأننا نقول إنه مات ثم احيا كما مر ا هـ.

لا يوزن برجل إلا رجح به شرفا ونبلا وفضلا وعقلا فإن كان في المال قل فإن
المال ظل زائل وأمر حائل ومحمد من قد عرفتم قرابته وقد خطب خديجة بنت خويلد
وبذل لها ما آجله وعاجله كذا وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل جسيم.

فلما أتم أبو طالب الخطبة تكلم ورقة بن نوفل وهو ابن عم خديجة فقال:

الحمد لله الذي جعلنا كما ذكرت وفضلنا على ما عدت فنحن سادة العرب
وقادتها وأنتم أهل لذلك كله لا تنكر العشيرة فضلكم ولا يرد أحد من الناس فيخركم
وشرفكم وقد رغبتنا في الاتصال بحبيلكم وشرفكم فاشهدوا على معاشر قريش بأنى قد
زوجت خديجة بنت خويلد من محمد بن عبدالله على كذا ثم سكت.

فقال أبو طالب: قد أحببت أن يشركك عمها وهو عمر ابن أسد.

فقال عمها: اشهدوا يا معشر قريش إنى قد أنكحت محمد بن عبدالله خديجة
بنت خويلد. فقبل النبي (ص) النكاح.

فتأمل خطبة أبي طالب وذكره شأن النبي وتضرسه فيه كل خير وكان ذلك قبل
مبعث النبي بخمس عشرة سنة.

وأخرج البيهقي عن أنس قال جاء أعرابي إلى النبي (ص) وشكا الجذب والقحط
وأنشد أبياتا فقام رسول الله حتى صعد المنبر فرفع يديه إلى السماء ودعا فما رد يديه
حتى التفت السماء بإبراقها ثم بعد ذلك جاءوا يضحجون من المطر خوف الغرق فضحك
رسول الله (ص) حتى بدت نواجذه.

ثم قال لله درّ أبى طالب لو كان حيا لقريت عيناه. من ينشدنا قوله؟ فقال على
رضى الله عنه وكرم الله وجهه كأنك تريد قوله،

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

فقال (ص)، أجل.

وهذا البيت من قصيدة طويلة لأبى طالب قالها حين كان يذبح قريشاً عن النبى
منها قوله،

كذبتهم وبيت الله نبزى محمداً ولما نطاعن دونه وتناضل
ونسلمه حتى نصرع حوله ونذهل عن ابنائنا والحلائل
لعمري لقد كلفت وجداً بأحمد واحببته داب الحب المواصل
فمن مثله فى الناس اى مؤمل إذ قاسه الحكام عند التفاضل
حليم رشيد عاقل غير طائش يوالى إليها ليس عنه بغافل

ومنها قوله،

وقد علموا أن ابننا لا مكذب لدينا ولا يعنى بقول الأباطل
وأصبح فينا أحمد فى أرومة تقص عنها سورة المتناول
حديث بنفسى دونه حميته ودافعت عنه بالذى والكلاكل

والقصيدة طويلة وله اشعار كثيرة غيرها فى مدح النبى (ص) ولما حضرت الوفاة

أبا طالب جمع أشراف قريش وأوصاهم بوصية تدل على كمال محبته للنبي (ص) ومعرفته صدقه.

فقال يا معشر قريش أنتم صفوة الله من خلقه وقلب العرب فيكم السيد المطاع وفيكم المقدم الشجاع والواسع الباع واعلموا أنكم لم تتركوا للعرب في المآثر نصيباً إلا أحرزتموه ولا شرفاً إلا أدركتموه فلکم بذلك على الناس الفضيلة ولهم به إليكم الوسيلة والناس لكم حرب وعلى حريكم الرب واني أوصيكم بتعظيم هذه البنية يعني الكعبة فإن فيها مرضاة للرب وقواماً للمعاش وثباتاً للوطاة وصلوا أرحامكم فإن في صلة الرحم منسأة أي فسحة في الأجل وزيادة في العدد وتركوا البغى والعقوق ففيهما هلكت القرون قبلكم اجيبوا الداعي واعطوا السائل فإن فيهما شرف الحياة والمات وعليكم بصدق الحديث واداء الأمانة فإن فيها محبة في الخاص ومكرمة في العام وأوصيكم به محمد خيراً فإنه الأمين في قريش والصديق في العرب وهو الجامع لكل ما أوصيتكم به وقد جاء بأمر قبله الجنان وأنكره اللسان مخافة الشنآن وإيم الله كأنى أنظر إلى صعاليك العرب وأهل الأطراف والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته وصدقوا كلمته وعظموها أمره فخاض بهم غمرات الموت فصارت رؤساء قريش وصناديدها أذناناً ودورها خراباً وضعفاؤها أرباباً وإذا أعظمهم عليه أحوجهم إليه وأبعدهم منه أحظاهم عنده قد محضته العرب ودادها وأعطته قيادها .

يا معشر قريش كونوا له ولادة ولحزبه حماة وفي رواية دونكم ابن ابيكم كونوا له ولادة ولحزبه حماة والله لا يسلك أحد سبيله إلا رشد ولا يأخذ أحد بهديه إلا سعد ولو كان لنفسى مدة ولأجلى تاخير لكففت عنه الهزاهز ولدفعت عنه الدواهي .

وقال لهم مرة لن تزالوا بخير ما سمعتم من محمد وما اتبعتم امره فأطيعوه
نشدوا.

فانظر واعتبر كيف وقع جميع ما قاله من باب الفراسة الصادقة.

وقد روى أبو طالب عن النبي (ص) أحاديث منها ما ذكره الحلبي فى سيرته
فقال، وروى أبو طالب عن النبي (ص) فقال حدثني محمد أن الله أمره بصلة الأرحام
وأن يعبد الله وحده ولا يعبد معه غيره.

وقال سمعت ابن أخى يقول اشكر ترزق واكفر تعذب.

ولما مات أبو طالب نالت قريش من النبي (ص) من الأذى ما لم تكن تطمع فيه فى
حياة ابن طالب حتى أن بعض قريش نثرا التراب على رأسه الشريف وكان (ص) يقول
ما نالت منى قريش شيئاً أكره حتى مات أبو طالب.

ولما رأى قريشنا تهجموا على أذيته قال ياعم ما أسرع ما وجدت بعدك.

ومات هو وخديجة فى عام واحد فكان (ص) يسمى ذلك العام عام الحزن.

وإنما أظلت الكلام فى ذلك لتعلم محبة أبى طالب للنبي ومحبة النبي له. وتعلم
أيضاً أن ما قاله الأئمة الأعلام وهم القرطبي والسبكي والشعراني والسحيمي من أن
الله أحياء وآمن بالنبي (ص) له وجه وجيه.

ولذلك قال السحيمي وهو الذي اعتقده والقي الله به واقول أيضا كما قاله أنه هو الذي اعتقده والقي لله به وهكذا ينبغي لمن له محبة للنبي (ص) وقرابته فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر فيجب على ولاية الأمر ثبت الله بهم قواعد الدين اجراء التأديب اللازم بما يحصل به الزجر سدا للذريعة وحسما للخوض في مثل ذلك لما يترتب عليه من القتن العظيمة والله تعالى اعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم امر برقمه خادم طلبة العلم بالمسجد الحرام كثير الذنوب والآثام المرتجى من ربه الغضبان احمد بن زيني دحلان مفتي الشافعية بمكة المحمية غفر الله له ولوالديه ومشايخه والمسلمين اجمعين آمين.

وصلى اللهم على سيدنا وموالانا محمد وعلى آله وسلم في كل لغة ونفس عدد ما وسعه علم الله.

فهرس الكتاب

٤	- تقديم.....
١٤	- مقدمة المؤلف.....
١٩	- الباب الأول، إثبات الإيمان.....
٣٠	- الباب الثاني، أبو طالب والنبي.....
٤٧	- الباب الثالث، شعر أبي طالب.....
٥٥	- الباب الرابع، أبو طالب والشفاعة.....
٧٠	- الباب الخامس، نجاه أبي طالب.....
١٠٢	- ملحق (١).....
١٠٤	- ملحق (٢).....

قطايع سجل العرب

٩ شارع - عماد الدين - القاهرة - ج.م.ع
ب. ٩٣٤٧٠٦ ص ١٣١٥ نسج

هذا الكتاب

دعوة الى اعمال العقل ليس في نسب
النبي (ص) فقط وانما في التراث الإسلامي
بأكمله . فإن قضية التشكيك في أبي طالب
إنما الهدف منها التشكيك في النبي وفي
دعوته ..

وهي قضية واهية بلا جذور ولا أساس ..
والسؤال الذي يطرح نفسه هنا :

ما هي الفائدة من وراء تكفير أبي طالب؟
ما هي الفائدة من التشكيك في إيمان
السند الأكبر للنبي (ص) في بداية
الدعوة ؟

ما هو الهدف من وراء هذا الموقف من أبي
طالب وأبوي النبي في الوقت الذي تَضَيَّ
صبغة الإسلام والايمان على أبي سفيان
وولده معاوية والحكم بن العاص وولده
مروان الذين كانوا وبالاً على الإسلام
والمسلمين ولعنوا على لسان الرسول ؟